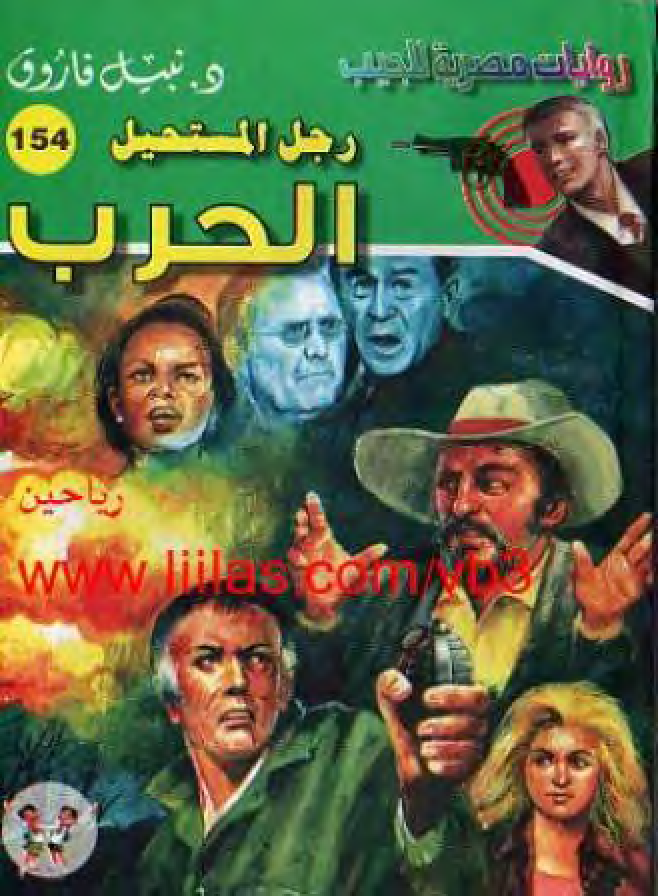

روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
154
رجل المستحيل
الحرب
رياحين
www.liilas.com/vb3



# رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

د. نبيل فارو

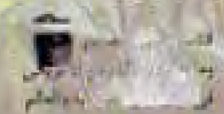
## الحرب

- وسط أحراش كولومبيا يقاتل أدهم فى معركته الأخيرة ..
- ومن أجل رفاقه يبذل حياته ..
- ولأن الأحراش لا ترحم، وخصومه لا تهادن، كان عليه أن يقاتل، حتى آخر قطرة من دمه، وأن يشعل الحرب، فى قلب الأحراش ..

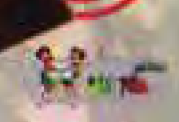
154

• اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (رجل المستحيل) فى معركته الأخيرة

المغامرة القادمة — **الإرهاب**



المؤسسة العربية الحديثة





## رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن ـ ١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و (المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب «رجل المستحيل».

د. نبيل فاروق



# ١ ـ الشرُّ..

انعقد حاجبا مدير المخابرات المركزية الأمريكية فى توتر، وهو يراجع ذلك الملف الضخم أمامه، قبل أن يتخذ ما يعتبره أخطر قرار، فى حياته كلها..

أو ربما فى حياة دولته..

أقوى دولة فى القرن الحادى والعشرين..

أو هكذا كان يتصوّر..

حتى حدث ما حدث..

والملف أمامه كان يعود إلى مرحلة قديمة، عندما بدأت تلك الزعيمة الغامضة محاولتها، للسيطرة على العالم كله بعد أن قضت على منظمة سستر (X) الرهيبة، ونجحت فى الهيمنة على مدفع ليزر قوى، كان ذروة برنامج حرب النجوم القديم..

وفى توتُّر، راجع شريطها العجيب..

شرط أن يتولى رجل مخابرات مصرى كل المفاوضات، في هذا الشأن ..

رجل يدعى (أدهم صبرى) ..

وطار (أدهم) من (مصر) إلى الولايات المتحدة الأمريكية في طائرة خاصة؛ لحماية العالم أجمع من تلك الغامضة الرهيبة ..

ولكنه لم يصل إلى هدفه قط ..

لقد وجد نفسه يخوض مغامرة عنيفة في قلب المحيط الأطلنطي، انتهت بنسف مقر الزعيمة، وإنقاذ (مصر) والعالم، ولكن بثمن باهظ ..

باهظ للغاية ..

فالزعيمة نسفت المقر، الذي كان يضم (منى)، و(قدرى)، و(شريف)، و(ريهام)، وحتى ابنه (أدم) ..

وخسر (أدهم) كل من أحب، في حياته كلها ..

خسرهم من أجل حبه الأسمى ..



من أجل (مصر) ..

وبالنسبة للعالم كله، بدا أن (أدهم صبرى) قد لقى حتفه، في ذلك الانفجار القوى الرهيب ..

حتى المخابرات المصرية، تصورت هذا ..

ثم ظهر ذلك الغامض في (العراق) ..

ظهر مع ثلاثة من أسود العرب، يقاتلون المحتل الأمريكي في بسالة ما لها من مثيل، وسط صفوف المقاومة الحقة ..

وفي الوقت الذي اشتعلت فيه النيران في (الفالوجا)، سعى الإسرائيليون لدس أنفهم المعقوف في أرض (العراق)، عبر محاولة للاستيلاء على قطعة أرض، بين (بغداد) و(يعقوبة)، تكون نواة لتواجدهم في أرض عربية جديدة .. وفي الوقت ذاته، ظهرت الصينية الحسناء (تيا) في عرين مستر (X)، زعيم أقوى منظمة جاسوسية عالمية، تعرض عليه أن تسلمه رفاق (أدهم)!

وكانت مفاجأة ..

فوفقًا لما حصل عليه مستر ( X ) منها ، بوسائله العنيفة ، كان (قدرى) و(منى) ، و(شريف) و(ريهام) على قيد الحياة فى قبضة (باولو لاماس) ، إمبراطور تجارة المخدرات ، فى قلب أحراش ( كولومبيا ) ..

الإمبراطور الوحشى ، الذى أباد فرقة عسكرية أمريكية كاملة ، وأطعم تماسيحه جنودها ، دون رحمة أو شفقة ..

وكان على الإدارة الأمريكية أن تبحث عن وسيلة أخرى ؛ لاستعادة رفاق (أدهم) من أحراش (كولومبيا) ، وفقًا لأوامر مستر ( X ) ، الذى يملك ما يدين أفرادها جميعًا ، أمام المجتمع الدولى ..

ولكن المعلومة بلغت (أدهم) ، فى قلب ( العراق ) ..

وانتفضت كل خلية فى جسده ..

وكل ذرة فى كيانه ..

واتخذ قرارًا حاسمًا ..

حازمًا ..

وخطيرًا ..



قرارًا بالتخلى عن دوره ، فى المقاومة العراقية ، والانطلاق للبحث عن رفاقه ، واستعادتهم من قبضة الشر ..

وفى (بوجوتا) ، عاصمة (كولومبيا) ، ضرب ضربته ..

وحدد موقع غريمه (لاماس) ..

وانطلق يواجهه ..

لقد نفض عن كيانه سمة زعيم المقاومة ، واستعاد قلب وطبيعة رجل المخابرات الخاص ..

طبيعة (رجل المستحيل) ..

وفى الوقت الذى بدأت فيه تلك الزعيمة الغامضة ، فى إعادة بناء منظمتها ، فى ثلوج (روسيا) ، بالتعاون مع زعيم المافيا الروسية الجديد (أيل كورلوف) ، كان (أدهم) يواجه رجال (لاماس) ، فى قلب أحراش (كولومبيا) .. وبينما توصل مستر ( X ) إلى موقع الزعيمة ، كانت الإدارة الأمريكية تستعد لقصف مقر (باولو لاماس) بالصواريخ ، فى حين كان رجال هذا

الأخير يلقون ( أدهم ) نفسه ، مقيد اليدين والقدمين ، في نهر ( جرافيارى ) ، كطعام للتماسيح ..

تماسيح ( الأمازون ) الجائعة ..

دوماً(*) ..

★ ★ ★

لم يكن ذلك الملف ، الذي يطالعه مدير المخابرات الأمريكية ، يحوى هذه المعلومات الأخيرة ، التي لم تبلغه بعد ، إلا أنه كان يعلم ، عبر جهاز الاتصال فائق الحساسية ، الذي لا يدرك إمبراطور المخدرات الكولومبي وجوده ، أن ( أدهم ) هناك ..

في قلب الأحراش ..

مهزوم ..

وبينما انهمك في مطالعة الملف ، ومراجعة كل ما لديه من معلومات واتصالات ، ارتفع رنين الهاتف الساخن الخاص به ، فالتقط سماعته بسرعة ، قائلاً :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء السابقة ( العودة ) ، ( القناع ) ، و ( الأحراش ) .



ـ أوامرك يا سيادة الرئيس .

بدا له صوت الرئيس الأمريكي خشناً أكثر من المعتاد ، وهو يقول في اقتضاب وصرامة :

ـ أريدك في مكتبي فوراً .

لم يحاول سؤاله عما يريده ، وهو يجيب :

ـ أنا في طريقي إليك ، يا سيادة الرئيس .

أسرع يرتدي سترته ، وحرص على وضع ذلك الملف ـ السري للغاية ـ في خزانته الخاصة ، قبل أن يتجه فوراً إلى البيت الأبيض ..

وعبر الطريق ، دارت في ذهنه عشرات الأسئلة ..

ترى كيف تدور الأمور الآن ، في أحراش ( كولومبيا ) ؟!

ماذا سيفعل ( أدهم صبري ) ، في مواجهة وحوش الأحراش ؟!

ووحوش البشر ؟!

ثم ألهذا علاقة بالسبب ، الذى يريده الرئيس من أجله ، أم ...

قبل أن يكتمل تساؤله الأخير هذا ، ارتفع رنين ذلك الهاتف ، الخاص جدًّا فى سيارته ، والذى يوصله بالرئيس مباشرة ، فالتقط سماعته فى سرعة ، وقال فى توتر ، لم يستطع كتمانه :

ـ أنا فى طريقى إليك بالفعل يا سيادة الرئيس ، وفور ..

قاطعته ضحكة عابثة طويلة ، اتسعت معها عيناه عن آخرهما ، فى ذهول مستنكر ، قبل أن يخترق صوت الزعيمة أذنيه ، وهى تقول فى سخرية :

ـ يا لها من معجزات تقوم بها التكنولوجيا ، فى أيامنا هذه .

ولم يستطع النطق بحرف واحد ..

فالمفاجأة كانت مذهلة ..

إلى أقصى حد ..

* * *



كانت مياه نهر ( جرافيارى ) شديدة البرودة ، عندما ارتطم بها جسد ( أدهم صبرى ) ..

ولكن هذا لم يقلقه فى تلك اللحظة ، وهو يغوص فيها ، مقيّد المعصمين والقدمين ، بأربطة مطاطية بالغة القوة ..

لا يوجد قيد ، لا يمكن التخلّص منه .. ..

استعاد ذهنه كلمات والده الراحل ، وهو يثنى جسده بمرونة اكتسبها مع التدريب المتواصل ، لنقل قيود معصميه ، من خلف ظهره إلى أمامه ..

كان يؤمن تمامًا بمبدأ والده وعبارته ..

ما من قيد ، يستحيل التخلص منه ..

كل قيد له وسيلة ..

وفن ..

ولكن هذا يحتاج إلى خبرة ..

ومهارة ..

ووقت ..

وهذا هو أخطر ما في اللعبة ..

وأصعبه ..

الوقت ..

فالتماسيح الجائعة أيضًا شعرت بسقوطه ، في مياه نهرها ..

وأدركت أن موعد الطعام قد حان ..

وانطلقت إليه ..

وفي الوقت الذي دفع هو فيه ساقيه بين ذراعيه ، لينقل قيود معصميه إلى الأمام ، كانت خمسة تماسيح قوية تندفع نحوه ..

متلهفة ..

جائعة ..

متعطشة للدم ..





وعلى ضفة النهر ، هتفت ( لوتشيا ) ، في حماس جذل :

ـ أراهن بألف دولار ، أن التماسيح ستلتهمه في أقل من خمس دقائق ..

مطّ ( لاماس ) شفتيه الغليظتين ، قائلاً :

ـ خمس دقائق ؟! أتتصورين أن تماسيحي قد فقدت حيويتها ونشاطها ؟!

غمغم أحد الرجال ، وهو يحاول الابتسام :

ـ أمر طبيعي أيها الزعيم ، فأنت تتخمها بالطعام طوال الوقت .

استدار إليه ( لاماس ) بنظرة صارمة ، انكمش لها الرجل على نفسه ، قبل أن يعيد هو بصره إلى النهر ، قائلاً في خشونة :

ـ ثلاث دقائق على الأكثر .

هتفت (لوتشيا) فى حماس :

ـ سأراهن .

أشار بسبابته وإبهامه ، قائلاً :

ـ ألفا دولار .

ضربت يده بكفها ، هاتفة فى جذل :

ـ اتفقنا .

ثم رفعت فوهة مدفعها الآلى ، وأطلقت رصاصاته فى الهواء ، صارخة فى شغف جنونى :

ـ هيّا .. هيّا أيتها التماسيح الجميلة .. التهمى طعامك فى تأن .. لا داعى للعجلة ..

هتف (لاماس) فى غلظة :

ـ بل أسرعى .. أسرعى وإلا نسفتك نسفًا .. أسرعى .



ظلت العيون كلها مركزة على مياه النهر ، فى المنطقة التى تجمعت عندها التماسيح ، والتى بدت كما لو أنها تغلى ، وذيول للتماسيح تبرز منها وتختفى ..

ثم تفجرت بقعة حمراء قانية ، على سطح الماء ..

ورفع (لاماس) ذراعيه ، هاتفًا فى حماس سافر :

ـ خسرت يا (لوتشيا) ..

انعقد حاجبا (لوتشيا) ، ومطت شفتيها فى غضب ، وهى تهمهم بكلمات غير مفهومة ، فأطلق (لاماس) ضحكة ظافرة عالية ، ومدّ يده الضخمة إليها ، هاتفًا :

ـ أنت تدينين لى بألفى دولار .

مطّت شفتيها مرة أخرى ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لا بأس .. إننى أشعل سيجارتى بأكثر من هذا .. سأعطيك إيّاها ..

ثم رفعت مدفعها في تحفز، واكملت في غضب واضح :

- بعد أن أقتل الأسرى .

قالتها، وجذبت إبرة مدفعها، واتجهت في حزم غاضب نحو الكوخ، الذي يحتفظون فيه بالأسرى، في حين أطلق ( لاماس ) ضحكة عالية ظافرة أخرى، وهو يقول في خشونة :

- كم تروق لي هذه المرأة، عندما تفقد أعصابها غضبًا !

وشيّعها بضحكة أخرى، شاركه فيها رجاله هذه المرة ..

ضحكة تجمع بين السخرية والشماتة، والظفر ..

ضحكة لم تستطع احتمالها، وهي تضرب باب الكوخ بقدمها في غضب، قررت أن تفرغه عبر رصاصات مدفعها، وهي ترفع فوهته نحو الأسرى الأربعة، هاتفة :



- إنها فرصتكم الأخيرة لتلاوة صلواتكم، فقد أتاكم ملك الموت .

وفي نفس اللحظة، التي نطقت فيها عبارتها، كان وزير الدفاع الأمريكي يعدّل منظاره فوق أنفه، ويقول عبر جهاز اتصال بعيد المدى :

- نفّذ ..

ومع قوله، ضغط أحدهم زرًا ما، في مكان ما ..

وإثر ضغطته، انطلق صاروخ ..

صاروخ اتجه نحو تلك الحقيبة الإلكترونية، التي أهداها الرئيس الأمريكي لإمبراطور المخدرات (باولو لاماس) ..

صاروخ يكفي لتدمير مقره ..

ومعسكره ..

ومساحة هائلة من الأحراش من حوله ..

وكان هذا يعني سحق الجميع ..

(باولو) ..

و(لوتشيا) ..

ورجالهما ..

والأسرى ..

وحتى تلك التماسيح ، فى نهر (جرافيلارى) ..

باختصار ، كان ذلك الصاروخ يحمل الموت للجميع ..

الجميع بلا استثناء .

* * *



## ٢ ـ أمطار الدم ..

بدا (أيل كورلوف) ، زعيم المافيا الروسية الجديد شديد العصبية ، وهو يدير عينيه فى ذلك المكان شديد الفخامة ، على نحو لم ير له مثيلاً من قبل ، على الرغم من ثرائه الفاحش ، وأشار بيده إلى الزعيمة ، قائلاً :

ـ إنها محاولة لإبهارى .. أليس كذلك ؟!

رمقته بنظرة ساخرة ، وهى تصبُّ كأسها ، ثم جلست فى استرخاء ، على مقعد بدا مريحاً للغاية ، وهى تقول :

ـ إبهارك ؟! وهل تتصوّر أنه لدىَّ من الوقت ما يكفى ، للعبث فى أمور تافهة كهذه ؟!

احتقن وجهه فى غضب ، وهمَّ يقول شىء ما ، ولكنها أضافت فى سرعة ، ودون أن تفقد تلك النظرة الساخرة فى عينيها :

ـ أخبرنى أولاً .. كيف تريد عربون المليار دولار ؟!

تألقت عيناه فى جشع شديد ، عندما نطقت الرقم ، ونسى كل الغضب ، وهو يقول فى لهفة :

- نقدًا .

تألقت تلك الضحكة الساخرة في عينيها مرة أخرى ، قبل أن تنفجر ضاحكة ، وهي تقول :

- نقدًا ؟! هل تعلم كم يبلغ حجم مبلغ كهذا ، حتى ولو كان بأوراق من فئة الألف دولار (*) ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يقول في عصبية :

- أتظنين أنك غير قادرة على هذا ؟!

هزت كتفيها في لا مبالاة ، قائلة :

- بل أنت ستعجز عن تخزينها .

ثم اعتدلت ، وتغيَّر صوتها مع اعتدالتها ، ليكتسب صرامة وحشية ، وهي تتابع :

- ولكنك ستحصل عليها ، مقابل خدماتك .

وعلى الرغم من سطوته ، ووحشيته المعروفة بين رجاله ، وفي كل الأوساط الروسية ، فقد وجد قلبه

(*) حقيقة ، ولكنها نادرة في التعاملات بين الأفراد .



ينكمش في أعماق صدره ، وهو يشير بيده ، قائلاً في صوت مبحوح من شدة التوتر :

- لقد نفذت كل ما طلبته مني .

أشارت بسبابتها ، قائلة بنفس الصرامة :

- تذكر دومًا .. ليس المهم أن تنفذه فحسب ، وإنما أن تنفذه بمنتهى الدقة .

قال بنفس الصوت المبحوح :

- لك هذا .

وعاد يدير بصره في ذلك المكان ، قبل أن يسألها ، وقد تضاعف توتره :

- كيف أنشأت مثل هذا المكان ، تحت ثلوج (سيبيريا) ، دون أن ينتبه أحد .

هزت كتفيها قائلة وهي تشعل واحدة من سجائرها الرفيعة الطويلة :

- في زمننا هذا ، التكنولوجيا تصنع الكثير .

ثم اعتدلت ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، مضيفة :

- والمال يصنع أكثر .

قالتها ، وانفجرت ضاحكة على نحو عابث ساخر ..

على نحو جعل قلبه ينقبض فى صدره ..

وجعله يدرك أن المرحلة القادمة ستحمل الكثير ..

والكثير جداً ..

بل وربما يتغيّر إثرها وجه العالم كله ..

تماماً ..

* * *

انفجار عنيف ، ارتجّت لـه أحـراش ( كولومبيـا ) كلها ..

ذلك الصـاروخ ، أصـاب حقيبة الاتصـالات الفائقة ، بدقة متناهية ، فنسفها ..

ونسف كل ما حولها ..



ومن حولها ..

اشتعلت النيران فى دائرة واسعة ..

اشتعلت فى الأشجار ..

والأعشاب ..

وكل شىء ...

وبالنسـبة للمراقبيـن ، بـدا هـذا انتصـاراً سـاحقاً للأمريكيين ..

فبصـاروخ واحـد ، قضـوا علـى إمبراطـورالمخدرات الكولومبى ..

ورجاله ..

و( أدهم صبرى )..

والأسرى أيضاً ..

والأهم أنهم سينسبون كل هذا إلى رجل المخابرات المصـرى ، وسـيعتبرونه المسـئول الأول عـن كـل الخسائر ..

وخصوصًا أمام مستر ( X )..

وفي المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض ، أطلق وزير الدفاع الأمريكي زفرة منتهية ، وهو يقول :

- هكذا انتهت مشكلاتنا ، يا سيادة الرئيس .. التأكيد البصري يشير إلى محو دائرة قطرها ميل كامل ، من أحراش ( كولومبيا ) ، بوساطة صاروخنا الجديد ..

غمغمت وزيرة الخارجية في عصبية :

- لا تتسرع وتتعجل النتائج يا رجل .

انعقد حاجباه في غضب ، وهو يقول :

- صاروخنا يعرف هدفه جيدًا ، والانفجار رصدته أجهزتنا ، ولم يعد هناك مجال للشك أو الحيرة .

قالت بنفس العصبية :

- ما زلت أصر على التروي .

التفت إليها الرئيس الأمريكي ، قائلاً في توتر :

- ما وجهة نظرك بالضبط ؟!



أجابته ، مشيرة بسبابتها في حدة :

- التجربة ؟!

خيل إليه أنها لم تفهم سؤاله ، أو أنها تتحدث مع نفسها ، فمال نحوها ، متسائلاً في توتر أكثر :

- ماذا ؟!

دارت حول مكتبه بملامحها العصبية ، وهي تقول :

- لو أن الأمر يقتصر على ( لاماس ) ورجاله ، لاعتبرته منتهيًا بالفعل ، ولكن مدير المخابرات أبلغني تليفونيًا ، أن ( أدهم صبري ) هناك .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، في توتر بالغ ، في حين ردد الرئيس الأمريكي ، في قلق واضح :

- ( أدهم صبري ) ؟! أتعنين ذلك المصري ؟!

قالت في حدة :

- ومن سواه ؟!

أدار الرئيس عينيه إلى وزير دفاعه في توتر ، فقال هذا الأخير ، في صرامة عصبية ، وهو يعدل منظاره فوق أنفه :

- وجود ( أدهم ) من عدمه ، لن يصنع فارقًا ، فالصاروخ أفنى المنطقة كلها ، و ...

قاطعته وزيرة الخارجية في حدة :

- خطأ يا رجل .. خطأ وألف خطأ ، فمع رجل مثل ( أدهم صبري ) ، لا يمكنك أن تتوقع ما يحدث أبدًا .

وازداد انعقاد حاجبي وزير الدفاع الأمريكي ، وهو يشيح بوجهه في غضب ، في حين امتقع وجه الرئيس الأمريكي ، على نحو عجيب ..

فما نطقت به وزيرة الخارجية ، ومستشارة الأمن القومي السابقة ، كان صحيحًا مائة في المائة ..

مع رجل مثل ( أدهم ) ، لا يمكنك أن تتوقع النتائج .. أبدًا ..

* * *

لم تكن هناك قوة واحدة ، في الأرض كلها ، يمكن أن تمنع ( لوتشيا ) الغاضبة ، من إفراغ رصاصات مدفعها الآلي كلها ، في أجساد الأسرى الأربعة أمامها ، لكل ما تموج به مشاعرها ، من انفعال جارف ..



لذا فقد أتت تلك القوة ، من أعلى ..

ذلك الصاروخ انفجر بدوي هائل ، ارتجت معه الأحراش كلها ..

ومع ارتجاجها ، اختل توازن ( لوتشيا ) ، وسقطت على وجهها ، وانطلقت رصاصات مدفعها الآلي في سقف المكان ..

ثم اشتعلت النيران ..

وبدا المشهد رهيبًا ..

رهيبًا إلى أقصى حد ..

وبكل غضبها ، أطلقت ( لوتشيا ) سبابًا ساخطًا ، وهي تنهض من سقطتها ، قبل أن تهتف :

- إنهم يهاجموننا .. الأوغاد الأمريكيون يهاجموننا .

ثم عادت تصوّب مدفعها الآلي إلى الأسرى ، الذين شحبت وجوههم ، وانعقدت ألسنتهم في حلوقهم ، عندما صرخت في شراسة :

- ولكن هذا لن يمنعني من سحقكم سحقًا .. لن يظفروا بكم أحياء ، حتى ولو ...

قاطعها هذه المرة ، اندفاع (لاماس) إلى المكان ، بجسده الضخم ، ومدفعه الآلى القوى ، وهو يهتف فى غضب :

ـ تلك المرأة كانت على حق .. لقد قتلوها .

استدارت إليه (لوتشيا) فى عصبية ، متسائلة :

ـ أية امرأة ؟!

لوَّح بذراعه القوية الحرة ، وهو يجيب :

ـ الزعيمة .. تلك التى يخشاها الجميع .. لقد حذرتنى من حقيبة الاتصالات تلك ، وأخبرتنى أنها فخ أمريكى ، وأنها ستعمل على السيطرة عليها ، حتى تفسد خططهم كلها .

تساءلت (لوتشيا) فى عصبية :

ـ ألهذا أرسلت الحقيبة مع بعض الرجال ، إلى أطراف الأحراش .

قال فى حدة :

ـ هذا ما طلبته هى منى .



مطَّت شفتيها ، صائحة فى حدة :

ـ وأنت أطعتها دون مناقشة .

لوَّح بذراعه الحرة مرة أخرى ، صارخًا :

ـ ولهذا نجونا جميعًا .. لقد حدث ما توقعته تمامًا .. استخدموا الحقيبة للقضاء علينا ، فانفجرت على بعد خمسة أميال منا ، ومع ما شعرنا به ، وما تركته من دمار ، سلى نفسك ، ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو أصابوا موقعنا نحن .

احتقن وجهها ، وهى تحاول تخيُّل الموقف ، ثم لم تلبث أن عادت بانتباهها وغضبها إلى الأسرى ، هاتفة :

ـ فليكن .. لن يمنعنى هذا من قتلهم .

ولكن (لاماس) أمسك معصمها فى قسوة ، وهو يقول فى خشونة صارمة قاسية :

ـ إياك أن تفعلى .

هتفت به فى حدة ، وهى تحاول التخلُّص من قبضته :

ـ ولم لا ؟!. الأمريكيون حاولوا نسفنا ونسفهم ، وهذا يعنى أن أمرهم لم يعد يعنى أحدًا .

قال بملامحه المتشوهة :

- الزعيمة تريدهم أحياء ، في الوقت الحالي .

صاحت ، محاولة تسديد مدفعها مرة أخرى إلى الأسرى :

- امنحني سببًا واحدًا منطقيًا .

أطل شرر مخيف من عينيه ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً بكل وحشية وقسوة الدنيا :

- إنني أيضًا أرغب في هذا .

خفضت مدفعها ، وهي تقول في عصبية :

- إنه أكبر خطأ ترتكبه في حياتك كلها .

بدا لها على الرغم من عشقها له ، مخيفًا رهيبًا .

وهو ينتزع المدفع الآلي من يدها في عنف ، قائلاً :

- فليكن .. ولكنه خطئي أنا ، وأنا المسئول عنه ..

قبل أن يتم عبارته ، اقتحم أحد رجاله كوخ الأسرى ، قائلاً في توتر بالغ :

- أيها الزعيم .. لقد اختفى ( أدهم ) .



حنق ( الماس ) في وجهه لحظة ، قبل أن يقول في عصبية :

- ماذا تعني بأنه قد اختفى ؟! لقد كان يقف إلى جواري تمامًا ، عند ضفة النهر ، عندما دوى ذلك الانفجار .

أومأ الرجل برأسه في توتر ، مجيبًا :

- هذا صحيح أيها الزعيم .. ولقد تحركت معًا ، لتنفيذ خطة الطوارئ البديلة ، واتخذ موقعه ، عند الشجرة الكبيرة ، وكنت أراه بعيني ، وأنا أدور حول شجرة أخرى ، وعندما أكملت دورتي ، فوجئت بأنه قد اختفى .

هتفت ( لوتشيا ) في حدة :

- أي قول أحمق هذا ؟!

هتف الرجل بدوره :

- أقسم أن هذا ما حدث .. في لحظة كان هناك .. وفي اللحظة التالية اختفى تمامًا ..

حدّق (لاماس) في وجهه لحظة أخرى ، ثم لم يلبث أن أزاحه عن طريقه ، بذراعه القوية ، وهو يندفع خارج الكوخ ، قائلاً :

ـ هراء .. خزعبلات السحر الأسود لا مكان لها هنا يا رجل .

اندفع الرجل خلفه ، وهو يكرر قسمه بصحة ما حدث ، في حين عقدت (لوتشيا) حاجبيها ، وهي تفكر فيما قاله ، قبل أن ترفع عينيها إلى الأسرى ، قائلة في شراسة قاسية :

ـ سأعود إليكم .

قالتها ، واندفعت بدورها خارج الكوخ ، وقد نبتت في ذهنها فكرة عجيبة ومجنونة ..

مجنونة إلى حد كبير ..

* * *

في خفة وبراعة ، راح فريق كوماندوز خاص ، في ملابس ناصعة البياض ، يلتف حول تلك البقعة ، التي



أكدت لأجهزة مستر (X) أن محاولة تعقب اتصالاته قد نبعت منها ..

وسط ثلوج (سيبيريا) ، تحرك الرجال ، وقد امتزجت ثيابهم ببياض الثلج ، فأخفتهم عن الأنظار أو كادوا ..

وبإشارات من أيديهم ، ودون أن يتبادلوا كلمة واحدة ، أو يحاولوا استخدام أية أجهزة اتصالات إلكترونية يمكن رصدها ، تبادلوا الأوامر ، واستعدوا لاقتحام ذلك المكان ، الذي بدا من الخارج بدائياً بسيطاً ، يكاد ينهار من ثقل الجليد على سقفه ..

ثم ، وبإشارة أخرى ، بدأ الاقتحام ..

فريق كامل من محترفي منظمة (X) انقضّ على المكان ، واقتحمه بمنتهى العنف ، وهو يشهر أسلحته القوية ..

وعلى الرغم من الفخامة الداخلية ، التي تتعارض تماماً مع المظهر الخارجي الخادع ، لم يندهش محترفو (X) ، أو يرتبكوا ..

بل كانوا يتوقعون هذا ، وهم يطلقون نيرانهم المدمرة في كل الاتجاهات بلا استثناء ..

وبمنتهى العنف ، راحت رصاصاتهم تنسف ..

وتدمر ..

وتسحق ..

ثم توقفت دفعة واحدة ..

توقفت مع الحيرة التي ملأت نفوسهم ، وهم يحدقون في المكان الخالي ، إلا من بعض أجهزة إلكترونية واضحة القدم ..

ومع حيرتهم ، التقط قائدهم جهاز اتصال خاص بالأقمار الصناعية ، وتجاوز أوامر الطوارئ ، وهو يضغط زره ، قائلاً :

ـ من الفرقة ( أ ) إلى المقر الرئيسي .. تم الاقتحام وفقاً للخطة ، ولكن المكان خالٍ تماماً .

تلقى مستر ( X ) الاتصال شخصياً ، في مقره السري ، فانعقد حاجباه في توتر ، وهو يغمغم :



ـ خالٍ ؟! هذا مستحيل ، فقد ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، عندما وثبت الفكرة إلى رأسه ، واعتدل بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـ تراجعوا فوراً .. غادروا المكان بأقصى سرعة .

كان الأمر مفاجئاً وغير متوقع ، بالنسبة لفريق كوماندوز الاقتحام ، إلا أن قائدهم هتف بسرعة ، ناقلاً الأمر للجميع :

ـ سنغادر فوراً .

في نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، بل وربما قبل حتى أن تكتمل ، ترددت في المكان ضحكة أنثوية عابثة ساخرة ، بلغت مسامع مستر ( X ) نفسه ، عبر جهاز اتصال الأقمار الصناعية ، قبل أن ينبعث صوت الزعيمة ، وهي تقول :

ـ فات الأوان أيها الحمقى .

ومع قولها ، صرخ مستر ( X ) :

ـ أسرعوا .

ولكن صرخته ضاعت مع دوى الانفجار ..

انفجار هائل عنيف، أطاح بالمكان ..

بكل ما فيه ..

ومن فيه ..

واحتقن وجه مستر ( X ) فى شدة ..

لم يحتقن لما أصاب رجاله فحسب، ولكن لأن صوت الزعيمة قد انبعث فجأة فى أذنيه، عبر جهاز اتصال الأقمار الصناعية، وهى تقول فى سخرية لاذعة للغاية:

- كان فخاً.

انعقد لسانه فى حلقه، فلم يستطع النطق بحرف واحد، فى حين تابعت هى فى ظفر وحشى:

- أرجو ألا تندهش، أو تغضب هكذا يا عزيزى؛ فليس هذا زمن معجزات، وإنما هو زمن العلم والتكنولوجيا، وبهما خدعتك، ودفعتك إلى إرسال أفضل رجالك، لأظفر بهم وبك بضربة واحدة.

قال بكل بغض الدنيا:



- ربما ظفرت بهم، ولكنك لم تظفرى بى بعد.

أدهشته رنة الظفر الساخرة فى صوتها، وهى تقول:

- أهذا ما تتصوره ؟!

ثم أنهت عبارتها بضحكة طويلة ..

ضحكة ساخرة ..

ظافرة ..

عابثة ..

ومستفزة ..

ضحكة جعلت وجهه يحتقن ..

ويحتقن ..

ويحتقن ..

ثم، وبأقصى سرعة، سمحت بها أصابعه المتوترة، ضغط زر إنهاء الاتصال، ثم ألقى جهاز الاتصال أرضاً بكل قوته، وحطمه بقدمه فى غضب ..

لقد نجحت تلك اللعبة في خداعه بالفعل ..

وهذا يعني أن خطرها قد تضاعف ..

ألف مرة ..

★ ★ ★

« كيف يمكن أن يختفي ( ألزيو ) ، دون أن يترك أثرًا ؟! »

نطق ( باولو لاماس ) العبارة ، في توتر ما له من مثيل ، وهو يقبض على مدفعه الآلي الضخم في عصبية ، ويتلفت حوله في كل مكان ..

وبسرعة ، انتقلت العدوى إلى الجميع ..

وتفجر في رءوسهم السؤال نفسه ..

أين اختفى ( ألزيو ) ؟!

وكيف ؟!



ولأنهم رجال عصابات ، فقد انعكس توترهم هذا على عنف أسلوبهم ، وهم يزمجرون كوحوش ثائرة ، وفوهات مدافعهم الآلية تدور في عصبية ، و ...

« مستحيل !! »

قطع أحد الرجال هذا الموقف ، بشهقة نطق بها كلمته تلك ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وحدق في شيء ما على ارتفاع كبير أمامه ..

وبحركة آلية شرسة ، استدارت العيون وفوهات المدافع إلى حيث ينظر .. واحتبست في حلوقهم شهقة متفجرة ..

فهناك ، على ارتفاع خمسة أمتار ، وبالقرب من قمة شجرة شاهقة ، كان جسد ( ألزيو ) معلقًا من قدميه ، اللتين تلتف حولهما أنشوطة حبل قوي ، ملتف حول غصن سميك ..

وعلى الرغم من المسافة بدت لهم جميعًا - في وضوح - تلك الكدمة الكبيرة في جبهته، والتي كانت سببًا لفقدانه الوعي ..

ولدقيقة كاملة تقريبًا، تجمد المشهد كله، والجميع يحدقون ذاهلين، في جسد (أزيو)، قبل أن تنتفض (لوتشيا)، هاتفة:

- إنه هو.

استدار إليها (لاماس)، في وحشية ثائرة، وهو يهتف:

- محال.

ثم جذب إبرة مدفعه الآلي الضخم، وهو يستطرد، في عصبية شديدة:

- تماسيحي لم تفلت فريسة واحدة، في تاريخها كله.







غمغمت (لوتشيا)، وهي تتلفت حولها في توتر:

- حتى هذه اللحظة.

احتقن وجهه، وهو يصرخ بكل انفعاله وثورته:

- ذلك محال.

والتمعت عيناه بوحشية ما لها من مثيل، وهو يستطرد:

- إنه أحد رجال الكوماندوز الأمريكيين .. لقد أفلت منا، وهو ينتقم لرفاقه.

ثم زمجر بكل وحشية الدنيا، مضيفًا:

- ولكننا سنظفر به حتمًا.

بدا عليها توتر عصبي، وهي تغمغم:

ـ ولكن هذا لو ...

قاطعها بصرخة هادرة :

ـ أنت محال .

والبرى آخر ، يقول فى توتر :

ـ لقد رأينا جميعًا التمساح تنقض عليه ، وتنهش جسده نهشًا ، و ...

قاطعته فى عصبية شديدة :

ـ إننا لم نر شيئًا .

حدقوا فيها جميعًا بدهشة مستنكرة ، فتابعت فى عصبية أكثر :

ـ كل ما رأيناه هو نيول تماسيح ، تضرب الماء فى عنف ، عند بقعة بعينها .

قال ( لاماس ) فى غضب :



ـ وبقعة دم على السطح .. هل نسيت هذا ؟!

التفتت إليه فى حركة حادة ، وهى تجيب :

ـ كلا .. لم أنس ، ولكن ما أذكره هو أن بقعة الدم تلك ، كانت أصغر بكثير ، مما ينبغى أن تكون عليه دماء رجل ، له كل هذه الحيوية .

عبارتها تلك جعلته يعقد حاجبيه فى توتر لا محدود ، وهو يتطلع إليها فى غضب ، وكأنما أضافت فى عقله مصباحًا ، كان ينبغى أن يظل مطفأ ..

وفى محاولة لتخفيف الموقف ، غمغم أحد رجاله :

ـ ألن ننزل ( أنزيو ) ؟!

أجابه ( لاماس ) فى غلظة قاسية :

ـ كلا ..

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى ثورة :

- ما دام قد سمح بحدوث هذا له ، فكل ما يستحقه هو أن يبقى بأعلى ..

وأدار فوهة مدفعه إلى أعلى ، صارخًا :

- جثة هامدة .

ومع صرخته ، انطلقت رصاصاته الشرسة ..

انطلقت لتحصد جسد ( فزيو ) فاقد الوعى ..

بمنتهى القسوة ..

والعنف ..

والوحشية ..

وتفجّرت دماء ( فزيو ) ، لتتساقط على رءوس باقى الرجال ، كأمطار جهنمية رهيبة ، وقد امتقعت وجوههم وأطل منها ارتياع ذاهل ، وقد تصوّر كل منهم نفسه فى الموقف ذاته ..

أما ( لاماس ) ، فقد مسح الدماء التى تقاطرت على وجهه ، وهو يصرخ فيهم :



- هذا ما يستحقه .. وما سيستحقه كل من يستسلم مثله .

سأله أحدهم بصوت متوتر :

- وما أوامرك أيها الزعيم ؟!

صرخ فيه :

- أوامرى ؟! وهل تنتظرون أوامرى ؟! هيا .. انتشروا وابحثوا عن ذلك المهاجم المغرور ، وحذار أن تقتلوه ، فهو لى ..

وعادت عيناه تلتمعان فى وحشية ثائرة ، وهو يضيف :

- لى وحدى .

وبكل توتر الدنيا ، انتشر رجاله ، بحثًا عن ذلك المجهول ..

أما (نوتشيا) ، فقد توقفت في مكانها ، وقد تعاظمت تلك الفكرة المجنونة في أعماق رأسها ..

تضاعفت ألف مرة ..

على الأقل .

* * *



## ٢ - المجهول ..

« محاولتنا فشلت .. »

نطقها مدير المخابرات الأمريكي في صرامة غاضبة ، وهو يواجه الرئيس ، ووزير دفاعه ، ووزيرة خارجيته ..

وفي توتر شديد ، حدق الثلاثة في وجهه ، قبل أن يغمغم وزير الدفاع ، في عصبية فشل في إخفائها :

- عن أية محاولة تتحدث ؟!

أجابه مدير المخابرات في حدة :

- ذلك الصاروخ .. لقد انفجر في أحراش (كولومبيا) بالفعل ، إلا أنه لم يحقق هدفه .

ثم مال يستند براحتيه على مكتب الرئيس ، ويتطلع إليه مباشرة ، وهو يضيف :

وكأنما يوجه حديثه إليه وحده :

- (لاسلس) ومعسكره ما زالوا سالمين .

اتسعت عينا الرئيس عن آخرهما، وانعقد حاجبا وزيرة خارجيته في توتر، في حين انطلق وزير الدفاع يقول في حنق :

- مستحيل ! الصاروخ تم توجيهه بالأقمار الصناعية، ومن المستحيل أن ...

بتر عبارته بغتة، ثم اعتدل وتابع في عصبية :

- كنت تخدعنا .. أليس كذلك ؟!

استدار إليه مدير المخابرات، قائلاً في صرامة :

- كلا .. ليس كذلك .. حقيبتكم تم نقلها، بعيداً عن المعسكر، مع تسجيل موجة صوت ( لاماس ) مع أصوات رجاله، حتى تتصوروا طول الوقت أنها قريبة منه، وعندما أطلقتم صاروخكم نحوها، نسفها بالفعل، إلا أنه لم يخدش أنف أصغر رجال إمبراطور المخدرات الكولومبي؛ لأنها انفجرت بعيداً عن معسكرهم .. بعيداً جداً.

وجم الثلاثة لحديثه، وتبادلوا نظرة شديدة التوتر، قبل أن تقول وزيرة الخارجية في انفعال :



- ولكن كيف ؟! قد يكون ( لاماس ) هذا إمبراطوراً وحشياً في إجرامه، إلا أنه ليس أيضاً بالذكاء الكافي؛ للقيام بخطوة كهذه.

لوّح مدير المخابرات الأمريكي بيده، مجيباً في حنق :

- ربما كان كذلك، ولكنها أصبحت تسيطر عليه الآن، و ...

قاطعته وزيرة الخارجية وهي تهتف، معبرة عما تفجّر في أعماق الرئيس ووزير دفاعه :

- من تلك التي تسيطر عليه ؟!

انعقد حاجبا مدير المخابرات بشدة، وهو يجيبها، في عصبية واضحة :

- الزعيمة.

نطقها، فخُيّل إليه أنه قد فجّر قنبلة مدوية، في قلب المكتب البيضاوي، عندما اتسعت عيون الكل، ودوى فيها ذعر ممتزج بالذهول، واحتبست الكلمات في الحلوق، وارتجفت الأجساد في عنف، قبل أن يغمغم الرئيس الأمريكي، في شحوب مدهش :

- هل ... هل تمزح ؟!

أجابه مدير المخابرات في حدة :

- وهل يصح المزاح ، في مثل هذه الأمور ؟!

احتقن وجه وزير الدفاع ، وهو يهتف :

- ولكنها كارثة !

اندفعت وزيرة الخارجية ، تقول :

- بل مصيبة !... مصيبة ستعيدنا مرة أخرى إلى ذلك الوضع السخيف ..

وتراجع الرئيس في مقعده ، وأغلق عينيه مغمغمًا في أسى مرير :

- لقد أصبحنا مرة أخرى ، بين المطرقة والسندان .

أشار مدير المخابرات بسبابته ، قائلاً :

- السؤال الآن هو : من المطرقة ومن السندان ؟!

سأله الرئيس الأمريكي في عصبية :

- أي سؤال سخيف هذا ؟!



أجابه مدير المخابرات في حزم :

- أخطر سؤال في هذه المرحلة أيها الرئيس .

جذبت عبارته انتباههم جميعًا ، فمال برأسه نحوهم ، مضيفًا بلهجة ذات مغزى واضح :

- الواقع أن لدينا صفقة .. صفقة بالغة الأهمية .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأكمل :

- وبالغة الخطورة ..

وفي هذه المرة احتبست أنفاسهم ..

تمامًا ..

* * *

بمنتهى الحذر ، تحرك رجال ( باولو لاماس ) ، في الأحراش المحيطة بوكرهم ، والتي يحفظونها عن ظهر قلب ..

كان التوتر يملأ نفوسهم ، مع الغموض المحيط بكل شيء ، ومع ذلك الخصم المجهول ، الذي فعل بزميلهم ( أنزيو ) ما فعله ..

وبكل التوتر والعصبية ، تحرك أحدهم ، بجسده الضخم ، وبشرته الداكنة ، وفوهة مدفعه الآلى المتحفزة ، وسط كومة من الأغصان المتشابكة ، و ....

وفجأة برز أمامه جسد قوى ...

وقبل حتى أن يستوعب موقفه ، كان صاحب ذلك الجسد يهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، جعلته يتراجع فى عنف ، ويرتطم بجذع شجرة ضخمة خلفه ..

وبكل عصبيته ، ارتد الضخم .. ومن حلقه ، انطلقت زمجرة وحشية ..

ولكن لكمة ساحقة أخرى أخرسته تمامًا ، وأطارت ثلاثًا من أسنانه الأمامية ..

وعلى مسافة أمتار قليلة ، التقط آخر زمجرة زميله ، وصوت اللكمات المكتومة ..

وبلا تردد ، اندفع نحو منطقة الصراع ، التى لم يكد يبلغها ، حتى تسمر فى مكانه ، وهو يحدق فى زميله الأسمر الضخم ، الفاقد الوعى والدماء تسيل من بين شفتيه فى غزارة ..



وبكل عصبية الدنيا ، تلفت الرجل خلفه ، وهو يشهر مدفعه ، ويصرخ بكل قوته :

ـ سقط آخر يا رجال ..

ردد الصرخة مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ووسط الأحراش المتشابكة ، بدت صرخته مدوية ..

وربما أكثر مما ينبغى ...

وبكل عصبية الدنيا ، التقط ( لامابس ) صرخة الرجل ، وقال بمنتهى الحدة والغلظة والغضب :

ـ مستحيل ! لا أحد يفعل هذا مع ( باولو لامابس ) ..

اندفعت ( لوتشيا ) تقول فى عصبية ، وهى ترفع فوهة مدفعها الآلى :

ـ سأقتل الأسرى .

صرخ فيها :

ـ قلت ليس الآن .

انعقد حاجباها في غضب عصبي ، وبدا لحظة أنها ستقول شيئاً ما ، إلا أنها لم تلبث أن عدلت عن قولها ، وتمتمت :

ـ إنه هو .

صرخ ( لاماس ) فيها :

ـ مستحيل !

وبدا كأنما ما زكّته في حياتها عصبية ، وهو يضيف :

ـ تماسيح ( لاماس ) لا ينجو منها أحد .

تمتمت :

ـ حتى الآن .

استدار إليها بحركة حادة مفاجئة ، وهوى على وجهها بصفعة قوية ، انتزعتها من مكانها ، وألقتها أرضاً في عنف ، وهو يصرخ :

ـ إياك أن تكرري هذا .



احتقن وجهها بشدة ، وتحسست موضع الصفعة في غضب شديد ، قبل أن تنهض ، مغمغمة بلهجة مختنقة :

ـ فليكن يا ( لاماس ) .. فليكن .

بدت لها عيناه محمرتين كالدم ، وهو يحدق فيها بوحشية ، وكأنما يفكر في الانقضاض عليها مرة أخرى ، ثم لم يلبث أن اندفع نحو كوخه الخاص ، تاركاً إياها خلفه ، فاحتقن وجهها أكثر وأكثر ، وأضمرت في نفسها أمراً خطيراً ..

خطيراً إلى أقصى حد ..

رقدت الصينية الحسناء ( تيا ) ، على فراش المرض ساكنة ، تتردد أنفاسها في بطء وانتظام ، فتطلع إليها ذلك الطبيب ، الذي يشرف على علاجها ، في اهتمام شديد ، قبل أن يقول للرجل ، الذي يصوّب مدفعه إليها طول الوقت :

ـ عجباً ! كيف لم تستعد وعيها ، بعد كل هذا ؟!

زمجر رجل الأمن في خشونة ، قائلاً :

ـ ربما تتظاهر بذلك .

ساورت الشكوك الطبيب ، فتطلع إليها لحظة في قلق ، وتابع أنفاسها الهادئة المنتظمة ، قبل أن يقول :

- هل .. هل تعتقد هذا ؟!

أجابه رجل الأمن في خشونة أكثر :

- المفترض أن تجيبني أنت .

تردد الطبيب بضع لحظات ، قبل أن يقترب من (نيا) في حذر ، وانحنى يضع سماعته الطبية على صدرها ، و ...

وفجأة ، دبّ نشاط عجيب ، في جسد الصينية الحسناء ..

وبحركة مدهشة ، وخفة لا مثيل لها ، وثبت تمسك كتفي الطبيب ، وهي تبتسم في سخرية ، قائلة :

- صدقني ... إنه ليس أمراً شخصياً .

تحرك رجل الأمن في سرعة ، وأدار فوهة المدفع الآلي نحوها ، في شراسة شديدة ، إلا أنها دفعت جسد الطبيب المذعور نحوه ، وهي تتابع بنفس السخرية :

- إنه عمل محض .



انطلقت رصاصات مدفع رجل الأمن ، لتغوص في جسد الطبيب المسكين ، و(نيا) تواصل دفعه نحوه ، دون أن تتوقف عن ابتسامتها الساخرة ..

وبوثبة مدهشة ، ركلت المدفع ، من يد رجل الأمن ، ثم هوت على فكه بركلة أخرى ، قبل حتى أن يتوقف جسد الطبيب المسكين عن انتفاضة الموت ، التي شملته كله ..

وتراجع رجل الأمن في عنف ، دون أن يسقط أرضاً ، فتخلت هي عن جسد الطبيب ، وهوت بقبضتها على عنق الرجل ، بكل ما تملك من قوة ..

وعلى الرغم من القرقعة ، التي انبعثت من حنجرة الرجل ، وهي تتهشم كبيضة فاسدة ، إلا أنها حافظت على ابتسامتها ، ووقفت هادئة تراقب الرجل ، وهو يلهث ، في محاولة عبثية لالتقاط الهواء ، ووجهه يحتقن بشدة ، وعيناه تجحظان عن آخرهما ..

وعلى الرغم من ثقتها ، في أن أفراد الأمن سيهرعون حتماً إلى المكان ، أثر دوي الرصاصات إلا أنها ظلت هادئة ، وربما أكثر مما ينبغي ، وهي تخلع قرطيها ، وتضغط نتوءاً بالغ الدقة ، في كل منهما ..

وعندما اقتحم رجال أمن مستر (X) حجرتها ، كانت تعيد قرطيها إلى أذنيها وتعقد ساعديها أمام صدرها ، وتستقبلهم بابتسامة عجيبة ..

ابتسامة ساخرة ..

لا مبالية ..

وغامضة ..

غامضة إلى أقصى حد ..

* * *

« من القائد إلى الرجال .. حددوا مواقعكم ومواقفكم .. »

أطلق (لاماس) النداء مرتين ، عبر جهاز اتصال لاسلكي محدود ، وبدا شديد العصبية ، وهو يصرخ للمرة الثالثة :

- أين أنتم ؟!

أتاه صوت أحد رجاله ، يقول في عصبية :



- خسائرنا مخيفة أيها الزعيم .. الرجال معظمهم مفقودون .. لقد عثرت على ثلاثة منهم فاقدي الوعي ، وهناك من جرّدهم من أسلحتهم ، ولكننا لم نعثر على أي أثر له :

صرخ (لاماس) في جنون :

- أي قول أحمق هذا ؟! لا أحد يمكن أن يفعل هذا بـ (لاماس) ورجاله .. اليتكي أنفسهم فشلوا في هزيمتنا .. ما تقوله مستحيل ! مستحيل تمامًا !

مضت لحظة صمت ، قبل أن يقول الرجل ، بصوت مرتجف ، لم يستخدمه أحد في تاريخ إمبراطورية (لاماس) قط :

- ربما أيها الزعيم ، ولكنه أمر واقع .. إننا نجهل كيف نتعامل مع هذا الـ ... المجهول .

احتقن وجه (لاماس) في شدة ، وهو يصرخ :

- اقتلوه .. اسحقوه سحقًا .. لقنوه آخر درس ، في حياته البائسة كلها ..

أتاه صوت الرجل، وهو يرتجف أكثر، قائلاً:

ـ المهم أن نجده أولاً أيها الزعيم.

لم يشعر إمبراطور المخدرات الكولومبي، في حياته كلها، بتلك الغضب الرهيب، الذي شعر به، في تلك اللحظات..

فمنذ ما بدا له أشبه بدهر كامل، لم يذق طعم الهزيمة..

بل، ولم يتصور حتى أن يتذوقه..

لقد اعتاد أن ينتصر..

وأن يسحق خصومه كلهم..

بلا رحمة..

وبلا إبطاء..

ومنذ استقر بمعسكره هذا، في تلك البقعة، عند نهر (جرافيارى)، اعتاد أن يطعم تماسيحه لحم أعدائه..

الأحياء..



وكان هذا يشبع روحه السادية..

وينعشه..

ويشده..

وعندما أرسل الأمريكيون فرقة كوماندوز كاملة لمهاجمته، شعر بنشوة ما بعدها نشوة..

نشوة الانتصار عليهم..

ونشوة إطعامهم لتماسيحه..

ولكن النشوة الكبرى، كانت في إبلاغ الأمريكيين بما حدث..

وتحطيم غطرستهم تمامًا

فكيف بعد كل هذا، يأتي شخص ما، أيًا كانت هويته، ليسقط نصف رجاله، خلال أقل من يوم واحد؟!

كيف؟!

كيف؟!

وبكل غضبه ، أدار مؤشر جهاز الاتصال اللاسلكي العام ، على الموجة المفتوحة ، وقال في خشونة وحشية :

ـ نداء إلى الجميع ، في كل المعسكرات الفرعية .. استنفار عام .. أريدكم كلكم في المعسكر الرئيسي ، خلال ساعة واحدة .. أكرّر .. ساعة واحدة لا غير .

كرّر النداء ثلاث مرات متتالية ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويقول في شراسة :

ـ فليكن أيها المجهول .. سأجمع جيشًا كاملاً ؛ لمواجهتك ، وكشف القناع عن وجهك .

ـ « ولماذا جيش كامل ؟! »

أتاه الصوت بلهجة ساخرة من خلفه ، فاستدار إلى مصدره بحركة سريعة ، وهو يلتقط مدفعه الآلي ، و ...

وتفجر في أعمق أعماقه غضب هائل ..

غضب يمتزج بالوحشية والثورة والسخط ..

ففي مواجهته تمامًا ، كانت تحدق فيه فوهة مدفع آلي ، يخص أحد رجاله الأقوياء ..



وخلف تلك الفوهة تمامًا ، كان يقف آخر شخص ، يمكن أن يتصور رؤيته ، في هذا الزمان والمكان ..

وفي لحظة واحدة ، تبدلت كل مشاعره هذه إلى حالة واحدة ..

الذهول ..

الذهول التام ..

ومع الابتسامة الساخرة لخصمه ، والتي استفزت كل ذرة في كيانه ، هتف ( لامانس ) بصوت مختنق :

ـ ولكن هذا مستحيل !

هزّ ( أدهم ) كتفيه في لا مبالاة ، وهو يقول :

ـ ولماذا ؟!

هتف ( لامانس ) ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

ـ التماسيح .. لقد رأينا التماسيح تلتهمك .. رأيناها جميعًا تفعل .

هزّ ( أدهم ) كتفيه ، قائلاً في سخرية :

ـ ربما لم تستسغ تماسيحك طعمي .

هتف (لاماس) ، وجسده كله ينتفض انفعالاً :

ـ مستحيل !

ـ « ولكننى كنت أتوقعه .. »

نطقتها (لوتشيا) هذه المرة ، وهى تدخل المكان ، مصوّبة مدفعها الآلى إلى (أدهم) ، ولكن هذا الأخير التفت إليها فى هدوء ، دون أن يفقد ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ هل تصوّرت أننى لم أسمع صوت قدميك الثقيلتين وأنت تتسللين خلفى .

قالت فى تحدٍ :

ـ لا داعى للمكابرة .. إنك لم تشعر بقدومى بالفعل .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة إلى عينيه ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟! كيف علمت إذن أنك قد أتيت من خلف المكان ، ودرت حوله فى حذر ، وارتطمت أثناء ذلك بصخرة صغيرة ، وصعدت فى درجات السلم القليلة ، من الجانب الأيسر ، و ...



قاطعته فى عصبية :

ـ كفى .

نقل (لاماس) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ أما يقوله صحيح ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، محتفظاً بابتسامته الساخرة فى حين أجابت هى ، فى عصبية أكثر ، وهى تجذب إبرة مدفعها الآلى :

ـ ربما كان بارعاً ، ولكنه تركنى أباغته ، فى كل الأحوال ، وهذه حماقة سيدفع ثمنها غالياً .

صرخ (لاماس) ، وهو يهبّ من مكانه فى حدة :

ـ أطلقى النار يا (لوتشيا) .. اصرعيه الآن .. فوراً .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ ليس الآن .

صرخ بكل غضب الدنيا :

- قلت الآن .. فوراً .

أغاظها كثيراً أن ظل (أدهم) هادئاً ساخراً ، على الرغم من أنه قد خفض فوهة مدفعه الآلى بالفعل ، فقالت ، وقد تضاعفت عصبيتها :

- ليس قبل أن أعرف كيف نجا من تماسيحك .

التقى حاجبا (لاماس) الكثين ، وهو يقول فى انفعال :

- نعم .. لابد وأن نعلم كيف ؟! كيف فعلها ؟!

هز (أدهم) كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

- لم يكن ذلك عسيراً .

صرخت فيه (لوتشيا) :

- أخبرنا كيف ؟!



حملت ابتسامته قدراً أكبر من السخرية ، وهو يجيب :

- لست أدرى لماذا ترفضون تصديق هذا ، ولكن تماسيحكم لم تستسغ طعمى بالفعل !

انتفض جسد (لاماس) الضخم ، وهو يهتف فى ثورة :

- اقتليه يا (لوتشيا) .. اقتليه ، نطقها أم لم ينطقها .

وصرخت (لوتشيا) :

- أخبرنى .

ارتكن (أدهم) بظهره إلى جدار الكوخ ، وترك المدفع الآلى يتدلى من كتفه ، بوساطة حزام الكعب ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يجيب فى بساطة مستفزة :

- الأمر كذلك بالفعل ، فما أن علمت أننى سأواجه إمبراطور أوغاد مخدرات (كولومبيا) ، حتى بدأت فى جمع كل المعلومات عنه ، وطوال رحلتى إلى هنا ،

راجعت كل ما عرفته ، وأدركت أنه ، إذا ما نجح فى إسقاطى ، بوسيلة أو أخرى ، فسيلقى بى حتمًا إلى تماسيحه ، لذا فقد استعددت لهذه الوجبة ، بعقار خاص ، ابتكره خبراؤنا فى ( مصر ) .. عقار عندما أطلقه فى الماء ، يصيب التماسيح بالنفور ، وبحالة أشبه بالتشنجات العصبية لدى البشر .

قالت ( لوتشيا ) فى توتر شديد :

ـ لهذا كانت التماسيح تضرب الماء بذيولها فى عنف .

نقل ( لاماس ) بصره بينهما مرة أخرى ، وكأنما لا يفهم ما سمعه ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ ولكن الدماء .. لقد رأينا دماءك تصعد إلى السطح .

هزّ ( أدهم ) كتفيه مرة أخرى قائلاً :



ـ ما رأيتموه هو العقار نفسه ، الذى أضاف إليه خبراؤنا تلك الصبغة القرمزية ؛ لتحقق التأثير المطلوب .

أنهى عبارته ، فران صمت مطبق متوتر على المكان ، لما يقرب من نصف دقيقة كاملة ، قبل أن تتساءل ( لوتشيا ) فى عصبية :

ـ والقيود .. كيف ...

قاطعها ( أدهم ) فى سخرية ، قبل أن تتم تساؤلها :

ـ هل تعتقدين أن هذا أمر عسير بالفعل ؟

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلع إليه ، وعقلها يصرخ بأنه على حق ..

رجل مثله ، لن تعيقه القيود ..

أيًا كانت ماهيتها ..

وفى غضب ، صاح ( لاماس ) :

- ماذا تنتظرين يا ( لوتشيا ) .. اقتليه ؟!

التقطت ( لوتشيا ) نفسًا عميقًا ، وتطلعت إلى ( أدهم ) ، الذي رفع أحد حاجبيه وخفضه ، دون أن يعترض ، مما جعلها تقول في غضب :

- كما تأمر يا ( لاماس ) .

وبلا تردُّد ، وقبل حتى أن تنهي كلماتها ، ضغطت زناد مدفعها الآلي ..

ودوى صوت الطلقات ، في كوخ ( لاماس ) ..

بمنتهى القوة ..

* * *



# ٤- سيطرة ..

حمل صوت مستر (X) كل غضب الدنيا ، على الرغم من ملامحه الغارقة في ظلام تام ، على شاشة جهاز الاتصال الخاص ، داخل غرفة صغيرة خالية ، إلا من مقعد معدني بارد ، جلست عليه ( تيا ) ، محتفظة بابتسامتها الغامضة :

- حماقتك بلغت حدًا ، تستحقين معه القتل أيتها الصينية .

هزَّت كتفيها بلا مبالاة ، قائلة :

- ولماذا لم تقتلني ؟!

تضاعف غضبه ، مع قولها هذا ؛ ربما لأنها تدرك أنه مازال يحتاج إلى وجودها على قيد الحياة ، وقال في خشونة :

- قد أفعل ، في أية لحظة .

أدهشه أن تفجَّرت من حلقها ضحكة عالية ساخرة ، فهتف في غضب :

ـ هل ترغبين فى تجربة هذا .

استرخت فى مقعدها فى هدوء ، وقالت فى لهجة ، لم ترق له قط :

ـ هل تعتقد أنه سيكون لديك وقت كاف لهذا ؟!

لم يفهم السؤال فى البداية ..

لم يفهم أبدًا ..

فالصينية ، على الرغم من مهارتها الفائقة ، مازالت داخل أحد مقاره ..

وتحت حراسة بالغة ..

وقاسية ..

وشرسة ..

فما الذى يمنحها كل هذه الثقة ؟!

ما الذى يدفعها إلى التحدث بهذه السخرية ؟!

إنها تعرف حتمًا أمرًا ما ..

أمرًا يجهله ..



أو لم ينتبه إليه ..

وبكل ما يعتمل فى أعماقه ، من توتر لامحدود ، تراجع فى مقعده ، وسط الظلمة المحيطة بوجهه ..

وراح يعتصر عقله ..

يعتصره ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

ثم تألقت فى ذهنه بضع نقاط ..

إنها تعمل لحساب الزعيمة ..

عدوته اللدود ..

هى نفسها اعترفت بهذا ..

وأقرته ..

ومنذ البداية ، كانت تخدعه ..

وتراوغه ..

وتحاوره ..

وكل هذا بأوامر الزعيمة ..

وبكامل معرفتها ..

هناك أمر ما إذن ..

أمر انشغل الجميع عنه ..

أو لم ينتبهوا إليه ..

وبحركة حادة ، اعتدل جسده ، وضغط بضعة أزرار أمامه ، وهو يقول في صرامة :

ـ ما الذي تخفينه بالضبط ؟!

هزّت (تيا) كتفيها في استهتار ، وهي تجيب :

ـ خمّن .

مع قولها ، أضاء مصباح أحمر ، في قمة شاشة الاتصال ، وهتف هو في غضب :

ـ كنت على حق .. أنت تخفين جهاز اتصال .

ابتسمت ، قائلة في سخرية :



ـ عجبًا ! وكيف أخفيه ، وقد قمتم بفحصي ثلاث مرات على الأقل .

أجاب في غضب :

ـ لأنه لم يكن يعمل ، عندما قمنا بفحصك .. التكنولوجيا تطوّرت إلى حد مدهش ، في زمننا هذا ، ولدينا بالفعل أجهزة دقيقة ، يمكن ألا ترصدها وسائل الكشف المتخلفة ، إلا بعد تشغيلها .

قالت في سخرية :

ـ حقًّا ؟!

لم يبال بما نطقته ، والشاشة في جانبه تحمل صورة كبيرة لوجهها ، وأجهزة الفحص الدقيقة ترصد كل سنتيمتر منه ..

ثم ارتسمت دائرتان حمراوان حول أذنيها ..

وحول قرطيها بالتحديد ..

وفي غضب ، قال مستر (X) :

ـ قرطك .

رفعت (تيا) حاجبيها ، في دهشة مصطنعة ، وصفقت بكفيها في بطء قائلة :

- يا للبراعة !

لم يدر كيف احتمل غضبه البالغ ، وهو يقول :

- أراهن أن زعيمتك الحقيرة تلتقط إشارة ما منها الآن .

مطت شفتيها الصغيرتين ، قائلة :

- هذا صحيح .

قال في صرامة :

- وربما كانت قواتها في الطريق الآن .

أشارت بسبابتها ، قائلة :

- على الأرجح .

صمت قليلاً ؛ ليكتم غيظه الشديد ، مع ابتسامتها الساخرة الواثقة ، ثم قال :

- يا للسخافة !

عادت (تيا) تهز كتفيها ، قائلة :

- التكنولوجيا تقدمت كثيراً ، كما قلت منذ لحظات .



أشار بيده ، قائلاً في صرامة :

- ولكن العقول البشرية لم تتطور بالقدر نفسه .

هزت كتفيها ، بذلك الأسلوب المستفز ، وهي تقول :

- ربما .

أجاب في صرامة غاضبة :

- بل هذا مؤكد تماماً ؛ فزعيمتك ستهرع متعقبة الإشارة ، مع جيش من رجالها ، ولكنها ستجد مفاجأة رهيبة في انتظارها ؛ فلن تجدني حيث تتوقع .

التقطت نفساً عميقاً ، وقالت في هدوء :

- هناك مفاجأة حتماً .

مرة أخرى لم ترق له لهجتها أبداً ..

ومرة ثانية ، راح يعتصر عقله ..

وأعصابه ..

وكيانه كله ..

وفي توتر بالغ ، قال :

- أى أمر آخر تخفيه ؟!

تألقت ضحكة ساخرة مقلقة ، فى عينيها الصينيتين ، وهى تميل نحو شاشة الاتصال ، قائلة :

- لقد فاتها .. التكنولوجيا تقدمت كثيرًا ، فى زمننا هذا ، حتى إنها أصبحت تدهشنا ، على نحو غير مسبوق .

تساءل فى توتر :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

أشارت إلى أحد قرطيها ، مجيبة ، بنفس الابتسامة الساخرة :

- لقد كنت محقًا ، عندما قلت إننى أحمل جهازًا إلكترونيًا ، فى قرطى هذا ، ولكنك لم تدرك ماهية هذا الجهاز أبدًا .

عاد يكرر ، فى توتر متضاعف :

- ماذا تعنين ؟!

أجابت ، وهى تتراجع فى ذلك المقعد البارد :

- جهازى لم يقد الزعيمة إلى هنا ، فهى أذكى من أن تتصور أنك ستختفى فى مقرك الخاص .



وعادت تميل إلى الأمام بحركة مفاجئة ، مستطردة ، فى شماتة ساخرة متهكمة :

- لقد قادها إلى مركز اتصالاتك .

واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى توتر لا محدود ..

الآن فقط ، أدرك ما تعنيه (تيا) ..

وما تخفيه منذ البداية ..

فالقرط لم يكن مجرد جهاز اتصال ..

أو حتى جهاز تعقُّب ..

إنه جهاز أكثر حداثة ، يلتقط موجة اتصالاته ، ويقودها إليه مباشرة ..

وفى نفس اللحظة ، التى أدرك فيها هذا ، دوت الانفجارات حول مقره الرئيسى ..

مقره السرى ..

جدًا ..

وكان هذا يعنى أن الزعيمة قد حددت موقعه بالفعل ..

وكأنها تهاجمه ..

وبكل قوتها ..

ومع إدراكه هذه الحقيقة الرهيبة ، سمعت (تيبا) دوى الانفجارات ، عبر جهاز اتصالاته الخاص ..

وانطلقت من حلقها ضحكة جديدة ..

وفى هذه المرة ، كانت ضحكة ظافرة ..

تمامًا ..

* * *

على الرغم من أن رصاصات (لوتشيا) قد دوت ، بصوت مخيف للغاية ، داخل كوخ (لاماس) ..

وعلى الرغم من أن (أدهم) لم يحاول حتى تفاديها !!

إلا أنها لم تؤد غرضها قط ..

لقد دوت فى عنف ..

فقط دوت ..

ولكنها لم تسقطه ..



بل ، ولم تصبه بخدش واحد ..

كل ما حدث هو أنه قد أطلق ضحكة ساخرة قصيرة ، وعاد يرفع أحد حاجبيه ويخفضه ، بحركة مستفزة للغاية ..

ومع الذهول ، الذى أطل واضحًا من وجهى (لاماس) و(لوتشيا) ، هتف الأول :

ـ هذا مستحيل ! إنه ليس بشريًا .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ يبدو أن عقلك المريض قد اعتاد القفز إلى النتائج العجيبة دومًا .. الأمر أبسط من هذا بكثير .

ثم فتح راحته ، وأسقط منها كومة من الرصاصات ، وهو يضيف ، وقد اتسعت ابتسامته الساخرة أكثر :

ـ كثير جدًا .

حدقت (لوتشيا) فى الرصاصات ، هاتفة :

ـ ولكن كيف ؟!

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- الواقع أنه يدهشنى بقاؤكم على قيد الحياة ، طوال كل هذا الوقت ، من كومة الأخطاء ، التى ترتكبونها فى كل خطوة ! لقد تركت مدفعك لست دقائق كاملة ، عند باب كوخك ، على الرغم من دقة الموقف ، ومخزنكم يحوى بعض الرصاصات الثاقبة ، التى يمكن أن يستبدلها أى مخلوق بالرصاصات الحقيقية ، خلال دقيقة واحدة .. ثم هناك الخطأ الأكبر ، ألا وهو ترك معسكركم الرئيسى كله بلا حراسة ، بسبب انفعال طارئ جعلكم تطلقون كل رجالكم خارجه .

شد (الماس) قامته الضخمة العملاقة ، وهو يقول فى غضب :

- معسكرى لم يبق بلا حراسة .. أنا لم أغادره قط .

تأمله (أدهم) فى استخفاف ، قائلاً :

- حقاً ؟!

أمسك (الماس) مدفعه الآلى ، وهو يقول فى غضب :

- هل ترغب فى اختباره ؟!

قبل حتى أن يرتفع مدفعه ، كانت فوهة مدفع (أدهم) ، فى مواجهته مباشرة ، وهذا الأخير يقول ساخراً :



- لا بأس .. لو أنك ترغب فى ذلك بالفعل .

وعلى الرغم من غروره وغطرسته بقوته ، شعر (الماس) بتوتر بالغ ، وهو يحدق فى فوهة مدفع (أدهم) ، المصوبة إليه ، و ...

- « أنت هنا من أجلهم .. »

نطقتها (لوتشيا) فى مقت غاضب ، جعل (أدهم) يلتفت إليها ، فى انتباه شديد ؛ لتضيف فى عصبية :

- من أجل الأسرى الأربعة ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعلها تدرك أنها قد أصابت هدفها ، فأكملت فى انفعال :

- المرأة ، والبدين ، والشاب والشقراء .. أليس كذلك ؟!

خرج صوت (أدهم) ، من بين شفتيه ، جافاً صارماً ، وهو يسألها :

- أين هم ؟!

أشارت بماسورة مدفعها ، مجيبة :

- هنا .. فى قلب المعسكر .

ثم رفعت يدها اليسرى ، التي تحمل جهاز تحكُّم عن بُعد ، وهي تضيف ، في قسوة متحدية :

ـ محاطون بخمس عبوات تفجير ناسفة .

تألَّقت عينا (لامار) ، وهو يهتف :

ـ أحسنت .

أما (أدهم) ، فقد قال ، في صوت أقسى من الصلب :

ـ لو مسست شعرة واحدة منهم ...

قاطعته (لوتشيا) في عصبية :

ـ ماذا ستفعل عندئذ ؟! هل ستقتلني ؟!

أجابها في قسوة :

ـ بل سأجعلك تتمنين الموت ألف مرة .

همّت بقول شيء ما ، ولكن (لامار) سبقها ، قائلاً في ضحكة شرسة :

ـ مثلنا لايخشى الموت .

قالت (لوتشيا) في حدة :



ـ اصمت يا (لامار) .

تفجّر الغضب في وجهه ، وهو يقول :

ـ ماذا تقولين ؟!

صاحت به :

ـ أقول اصمت .. الموقف لايحتمل سخافاتك هذه المرة .. اصمت .

احتقن وجه (لامار) في شدة ، وهو يقول :

ـ أيتها الـ ....

قاطعته ثائرة :

ـ إياك أن تنطقها .

نقل (أدهم) نظرة متعقبة بينهما ، وهو يقول ، في لهجة حملت بين صرامته وسخريته :

ـ لن يروق لي أن تتشاجرا بسببي .

صاحت به (لوتشيا) في عصبية :

ـ اصمت أنت أيضًا .

أجابها (أدهم) في صرامة:

- وماذا لو لم أفعل ؟!

صاحت، وجسدها كله ينتفض انفعالاً:

- ستكفيني ضغطة على زر واحد، لتشاهد من أتيت من أجلهم، وقد تحولوا إلى أشلاء متناثرة.

كان من الواضح أنها، في ذروة انفعالها هذا، لن تتردد بالفعل، في ضغط زر جهاز التحكم اللاسلكي، وتنفيذ تهديدها، في لحظة واحدة..

وهو لايمكن أن يحتمل تكرار الموقف..

لايمكن أن يحتمل هذا أبداً..

وفي لحظة واحدة، استعاد ذهنه، ما بدا له لحظتها، أسوأ موقف، في حياته كلها..

استعاد مشهد رفاقه المصابين، على تلك الشاشة الكبيرة، في وكر الزعيمة الغامضة..

مشهد (منى)..



و(قدري)..

و(شريف)..

و(ريهام)..

ثم مشهد الانفجار..

ذلك الانفجار، الذي تصوَّر أنه قد قضى عليهم تماماً(*)..

لحظتها، شعر وكأنما دوى الانفجار في قلبه هو..

في أعمق أعماق قلبه..

ولقد استعاد عقله تلك اللحظة..

وسرت في جسده قشعريرة باردة..

باردة كالثلج..

وعلى الرغم من ذلك الألم، الذي اعتصر قلبه، وكيانه كله، ظلَّ مظهره الخارجي قوياً متماسكاً، وهو يقول:

- لو تصوَّرت أنني سأستسلم لكم، فأنت واهمة.

قالت في شراسة:

---

(*) راجع قصة (النهاية) ... المغامرة رقم (١٠٠).

- ولو تصورت أنني سأتردد لحظة واحدة ، في نسف الأسرى ، فأنت أكثر وهمًا .

قال ( أدهم ) في صرامة قاسية :

- هذا يعني أن الموقف سيتجمد ، عند هذه النقطة .

تألق بريق عجيب في عينيها ، وهي تقول :

- هذا لو لم تنفذ مطلبي .

جذب إبرة مدفعه ، قائلاً :

- لو أنه استسلامي ، فأنا أرفضه تمامًا .

قالت في توتر عجيب :

- لست أطلب منك أن تستسلم .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت ، وقد عادت عيناها تتألقان ، في وحشية فاقت الحد :

- بل أن تقاتل ( لاماس ) .

انعقد حاجبا ( أدهم ) في شدة ، وقد بدت له المرأة مصابة بنوع من الجنون ، في حين اتسعت عينا ( لاماس ) عن آخرهما ، وهو يقول :



- هل جننت ؟!

قالت في حدة ، وعيناها تتألقان أكثر وأكثر :

- ولم ؟! أنت تتباهى دومًا بقوتك ومهارتك ، وها هو ذا الخصم المناسب لمواجهتك .. دعني أرى كيف ستلقنه درسًا .

ثم مالت نحوه مضيفة :

- بيديك العاريتين .

انتفض جسد ( لاماس ) في عنف ، وهو يقول :

- محال !

سألته ، في تشفٍّ واضح :

- لماذا ؟! هل يخشى الإمبراطور ( لاماس ) العظيم ، مواجهة شخص واحد ؟!

انعقد حاجباه الكثّان في شدة ، وهو يقول :

- ( لاماس ) لا يخشى أحدًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- ولكن ليس بالأيدى العارية .

سألته فى شغف وحشى :

- كيف إذن ؟!

لم يعلق (أدهم) بحرف واحد ، وهو ينتظر جوابه ، فى حين شد العملاق الكولومبى قامته أكثر وأكثر ، قبل أن يقول فى عصبية :

- سنتقاتل بالخناجر .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فنقلت (لوتشيا) بصرها بينه وبين (لاماس) ، قبل أن تقول :

- فكرة لا بأس بها .

مرة أخرى ، لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، وإن خفض لوهلة مدفعه ، وكأنما يعلن موافقته على المواجهة ، فتألقت (لوتشيا) ، وعيناها تتألقان أكثر وأكثر :

- ستتقاتلان فى ساحة المعسكر إذن .

تساءل (أدهم) فى هدوء عجيب :



- وما مكافأتى لو ربحت ؟

أجابه (لاماس) فى غلظة :

- لن تربح .

أما (لوتشيا) ، فقالت فى جذل عجيب :

- حياتك هى المكافأة .

سألها (أدهم) فى صرامة :

- وماذا عن حياة الأسرى ؟!

أجابته ، وعيناها تزدادان تألقًا ، ونبرة الجذل فى صوتها تتضاعف :

- سيحيون .

ثم مالت نحوه ، مضيفة :

- فقط لو خسرت أنت .

والتقى حاجبا (أدهم) بشدة ..

بل بمنتهى الشدة ..

فالخيار الذي تطرحه (لوتشيا) كان رهيباً ..

وإلى أقصى حد ..

بل كان أصعب خيار واجهه ، في حياته كلها ..

فإما أن يربح قتاله مع (ألماس) ويفوز بحياته ..

أو يخسره ويحيا رفاقه ..

ويا له من خيار !

* * *



## ٥- خيرهما مرٌّ ..

لم يكد رنين الهاتف الخاص بمدير المخابرات الأمريكية ينطلق ، حتى التقطه هذا الأخير في لهفة ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- لماذا تأخرت ؟!

أتاه صوت الزعيمة ، وهي تقول بلهجة عجيبة ، جمعت بين الحزم والسخرية والظفر :

- كنت أنتظر اللحظة المناسبة فحسب .

تراجع الرئيس الأمريكي في مقعده ، في عصبية واضحة ، وهو يقول :

- إنها هي .. أليس كذلك ؟!

لم يكن مدير المخابرات قد أجاب بعد ، عندما قالت هي ساخرة :

- أخبر الرئيس أنها فعلاً أنا .

انعقد حاجبا مدير المخابرات الأمريكي ، وهو يسألها في توتر :

ـ كيف سمعت هذا ؟!

أجابته بضحكة ساخرة عالية ، جعلت جسده كله يشعر بالبغض تجاهها ، قبل أن تقول :

ـ يبدو أنني أتفوق عليكم تكنولوجيا ، في أمور شتى .

قال في سرعة وغضب :

ـ مستحيل ! إننا ..

قاطعته في صرامة ، لم تخل من رنتها الساخرة :

ـ تقيمون حظرًا خاصًا ، على التكنولوجيا المتقدمة .. أعلم هذا ، ولكن ما ينبغي أن تعلموه أيضًا ، هو أن أحد أهم عيوب التكنولوجيا ، هو أنها متاحة للجميع بلا استثناء ، وبالذات لمن يمكنه دفع ثمن أبحاث التطور .

لم يسمع الرئيس ، ووزير دفاعه ، ووزيرة خارجيته ، ما قالته الزعيمة ، إلا أن ذلك الانفعال ، الذي كسا وجه مدير المخابرات ، كان يكفي للإشارة إلى فحواه ، فغمغم وزير الدفاع :



ـ أظنها تسعى للسيطرة علينا ، أو ...

أشار إليه مدير المخابرات بالصمت ، في صرامة واضحة ، وهو يقول :

ـ إنها تسمع كل ما يدور هنا .

اتسعت عيناً ثلاثتهم في ارتياع ، وهتف الرئيس :

ـ لا .. ليس مرة ثانية .

أطلقت الزعيمة ضحكة ساخرة أخرى ، أكثر استفزازًا من سابقتها ، قبل أن تقول ، بلهجة آمرة صارمة ، تتعارض تمامًا مع ضحكتها :

ـ شغِّل مكبر الصوت في هاتفك .. أريدهم أن يستمعوا جميعًا لما سأقوله .

لم تكن طبيعته المخابراتية تميل إلى تلك الأساليب العلنية ، إلا أنه أطاع أمرها ، وضغط زر مكبر الصوت ، ووضع هاتفه على مكتب الرئيس ، وهو يقول :

ـ لقد قمت بتشغيله .

أنصت الكل لصوتها ، وهي تقول :

- الآن ، اضغط زر القناة الخامسة والخمسين ، فى ذلك التلفاز الضخم ، أمام مكتب الرئيس .

ضغطت وزيرة الخارجية فى عصبية :

- القناة الخامسة والخمسون لاتحوى شيئاً .

أجابتها الزعيمة ، بتلك النبرة الصارمة الساخرة :

- أعلم هذا ، وللسبب نفسه اخترتها ؛ لأبث إليكم درساً من طراز خاص للغاية .

عبارتها جعلتهم يضغطون زر القناة المنشودة فى سرعة ، قبل أن تتسع عيون أربعتهم ، ويشملهم صمت رهيب ..

فالقناة الخالية ، أصبحت تحمل شعار أفعى ذهبية ، فى ركن الشاشة العلوى الأيسر ، مع مشاهد ، لما بدا للوهلة الأولى أشبه بحرب طاحنة ، بين جيشين قويين ..

ثم فجأة ، انتبه الكل لما يرونه ..

كانت قوات الزعيمة ، تهاجم مقر مستر (X) ، فى جزر ( الكاريبى ) ، فى شراسة شديدة ..



وكاد وزير الدفاع يصرخ ذاهلاً ، فالمعركة كانت تضمّ مدرعات ودبابات ، وعربات إلكترونية ، كان يتصورّ أنه لايملكها سوى الجيش الأمريكى وحده ..

أما الطائرات ، التى تقصف المقر ، فكانت من طراز هليكوبتر ، تم تطويره منذ أيام قليلة للغاية ..

وكانت قوة النيران مدهشة .. وعنيفة .. ومخيفة ..

وفى عصبية بالغة ، هتفت وزيرة الخارجية :

- رباه ! إنها تملك جيشاً كاملاً .

غمغم الرئيس ، بصوت غادر حلقه فى صعوبة :

- السؤال هو : كيف حصلت عليه ؟!

تمتم مدير المخابرات :

- هناك أشياء عديدة ، أتمنى معرفة كيفية حصولها عليها !

اكتفوا بهذا القول، وعادوا يتابعون المشاهد على الشاشة، في حين قالت الزعيمة، في زهو واضح:

- ما ترونه هو بث حي مباشر.

ولم يحاول أحدهم التعليق على عبارتها هذه المرة؛ فالمشاهد كانت مثيرة .. وخطيرة .. ورهيبة ..

وكان من الواضح أن قواتها تتفوق على نحو ملحوظ..

وأنهم يشهدون نهاية مستر (X) ..

أو نهاية مقره الرئيسي على الأقل ..

وعبر هاتف مدير المخابرات، قالت الزعيمة في ثقة:

- إنها مسألة وقت فحسب .. ساعة واحدة على الأكثر، وسيمكنكم بعدها محو اسم مستر (X)، من سجل الأحياء تمامًا.

غمغم مدير المخابرات في توتر:

- لست أظن الأمر بهذه البساطة.



أطلقت ضحكة عابثة، وهي تقول:

- هل تعرفون المقولة الشهيرة: «عار عليّ أن أخدعك مرة .. وعار عليك أن أخدعك مرتين» .. لقد نجح مستر (X) في الفرار مني، في المرة الماضية؛ لأنني تركت له ثغرة لم أنتبه إليها، أما في هذه المرة، فقد كنت شديدة الحرص، على سد كل الثغرات .. على البر، وتحت سطح الماء أيضًا.

غمغم مدير المخابرات:

- أتحلم هذا.

أجابته في حزم:

- سترى.

ثم صمتت لحظة، وتابعت بلهجة صارمة:

- سأترككم تستمتعون الآن بالمشهد، ثم نلتقي مرة أخرى، بعد أن أمتلك السيطرة الكاملة، على عالم الجاسوسية الخاصة .. إلى اللقاء.

أنهت الاتصال، وتركتهم جميعاً غارقين في صمتهم الرهيب، قبل أن تغمغم وزيرة الخارجية، وقد بلغت عصبيتها ذروتها:

ـ يبدو لي أننا سنستقبل الجمر بالنيران..

التفت إليها الجميع، بنظرة صامتة مذعورة..

ثم هوت قلوبهم بين أقدامهم..

وبمنتهى العنف..

* * *

موقف عسير جداً، ذلك الذي راح (أدهم) يدرسه، وهو يقف في ساحة معسكر إمبراطور المخدرات الكولومبي، ليواجهه مباشرة..

كان صدره عارياً كصدر خصمه، وكل منهما يمسك خنجراً متماثلاً، ويدوران حول بعضهما البعض، في حين تجلس (لوتشيا) على صخرة بعيدة، ممسكة بمدفع (لاماس) الآلي، الذي تأكدت من وجود رصاصات حقيقية في خزانته، وممسكة بجهاز التحكم في



العبوات الناسفة باليد الأخرى، وهي تقول، بذلك الجذل الوحشي العجيب:

ـ القتال حتى الموت، ولو حاولت الفرار أيها الوسيم، فسأنسف كوخ الأسرى، دون لحظة تردد واحدة.

تجاهلها (أدهم) تماماً، وهو يواصل دورانه حول (لاماس)، الذي يدور حوله بدوره، وهو يطلق زمجرات وحشية، وينقل خنجره، من يد إلى أخرى، في سرعة ومهارة واضحتين..

ثم فجأة، انقض (لاماس)..

وهوى بخنجره..

وعلى الرغم من تلك الصرخة الرهيبة، التي أطلقها مع انقضاضته، ومع ملامحه، التي حملت كل وحشية وشراسة الدنيا، إلا أن (أدهم) تفادى الانقضاضة، في خفة ورشاقة، وهو ينحني، والخنجر يمر فوق رأسه مباشرة، ثم وثب جانباً، وضرب بخنجره..

وتمزق صدر زي (لاماس)..

وابتسمت (لوتشيا) في استمتاع، في حين أطلق (لاماس) زمجرة رهيبة، وهو يتراجع، ويعيد دراسة خصمه، من منظور جديد ..

وظهر أحد رجال (لاماس)، عند هذه اللحظة ..

واتسعت عيناه في ذهول ..

ولكن (لوتشيا) أشارت بمدفعها في صرامة ..

وصمت الرجل ..

وراقب في توتر ..

ثم ظهر ثانٍ ..

وثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

ومع انقضاضة (لاماس) الثانية، التفتت عيون رجاله ..

وتفادى (أدهم) الانقضاضة أيضًا ..



كان الرجال في ذهول، لرؤية (أدهم) على قيد الحياة، ولكن ذهولهم كان أكثر قوة، لمرآه يقاتل زعيمهم، على مرأى ومسمع من (لوتشيا)، التي بدت شديدة الاستمتاع بما تراه ..

وكان (لاماس) يبدو شديد الضخامة، بالنسبة لـ (أدهم)، الذي اكتفى بتفادي انقضاضات هذا الأخير، دون أن يهاجمه مرة ثانية ..

وفي كل مرة ينقض (لاماس)، كان (أدهم) يتراجع ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

ومع تراجعه، وعلى الرغم من أن (لاماس) لم ينجح في طعنه مرة واحدة، إلا أن هذا الأخير قد شعر بالقوة، وعاد يلوّح بخنجره، صائحًا:

ـ قاتل يا هذا .. قاتل كما يقاتل الرجال .. ليس من حقك أن تكتفي بالفرار على هذا النحو.

هزّ (أدهم) كتفيه، قائلاً:

- وهل يوجد ما يمنع هذا ؟!

أجابته (لوتشيا) ، واستمتاعها يذوب وسط كلماتها :

- مطلقًا .

ثم استدركت في صرامة :

- ولكن هذا لن يدوم إلى الأبد ... عليك أن تقاتل ، وإلا خسرت معركتك .

والتقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تضيف :

- هذا قانوننا هنا .

تبادل الرجال نظرة متوترة ، وتابعوا ذلك القتال العجيب ، عندما انقضّ (لاماس) انقضاضة أكثر عنفًا ، وهوى بخنجره على صدر (أدهم) تمامًا ..

وفي هذه المرة ، وثب (أدهم) إلى الخلف ، في خفة مدهشة ، ورأى خنجر (لاماس) يعبر ، أمام وجهه مباشرة ، فمال برأسه إلى الخلف ، وارتفعت قدمه تركل إمبراطور المخدرات ، في صدره مباشرة ..

ومرة أخرى ، زمجر (لاماس) ..



كان من الضخامة والقوة ، حتى إن ركلة (أدهم) القوية لم تسقطه .

ولكنها أثارت غضبه ، إلى أقصى حد ممكن ..

وبجسده العملاق ، انقضّ مرة أخرى على (أدهم) ..

وقفز (أدهم) إلى الخلف ، متفاديًا الانقضاضة ، فصرخ (لاماس) ، في ثورة هادرة :

- قاتل أيها الجبان .. قاتل .

التقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، وشدّ قامته ، قائلاً :

- ربما كان لدي حل آخر .

نهضت (لوتشيا) ، قائلة في صرامة :

- ليس هناك حل آخر .. إما أن تقاتل ، وتفوز على (باولو) ، فتنقذ الأسرى ، أو تخسر حياتك ، وينجوا هم .

انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وألقى عليها نظرة سريعة ، ثم ألقى خنجره إلى أعلى ، وتركه يدور في الهواء ، ويهبط عائدًا إليه ، قبل أن يلتقطه من نصله ، مكررًا :

- ربما هناك حل آخر ..

وحبس الجميع أنفاسهم ..

(لاماس) ..

ورجاله ..

و(لوتشيا) ..

لقد فهم الجميع ما يرمى إليه (أدهم) ..

سيلقى خنجره على (لاماس) من بعيد ..

ومع رجل مثله ، ومهارة كالتى رأوها ، كانت النتيجة تبدو لهم محسومة مقدمًا ..

لقد اختار حياته .. وحدها ..

وقبل أن تتصادم أفكارهم ، تحرك (أدهم) فى سرعة وخفة ، وألقى خنجره ..

وبمهارة مدهشة ، أصاب الخنجر هدفه ..

وحسم ذلك القتال ، على نحو لم يتوقعه أحد ..

قط ..

* * *



« لا فائدة .. »

غمغم مستر (X) بالكلمة ، وهو يعدو عبر ذلك الممر السرى ، أسفل مقره الخاص ..

لقد نجح جيش الزعيمة فى إسقاط دفاعاته كلها ..

بلا استثناء ..

وآخر ما رآه ، على شاشات رصده ، هو مشهد قواتها ، وهى تتدفق داخل المقر ، وتسحق كل ما يواجهها .. ومن يواجهها ..

لقد نجحت فى خداعه ، على نحو يثير غضبه ، إلى درجة الجنون ..

هى وتلك الصينية الحسناء خدعاه ، ودفعاه إلى مواجهة مباشرة ، فى مقره الخاص ..

مواجهة حاول تحاشيها ، منذ اللحظة الأولى ..

فمع ظهور (تيا) ، كان شديد الحرص على أن يجرى كل اتصال معها ، من مقر فرعى ..

كل اتصال ..

إلا أنها فعلت ما فعلته ..

استدرجته بتخطيط دقيق من زعيمتها ، إلى حالة من الترقب والتوتر ، ودفعته إلى إجراء اتصال سريع ، ومباشر ، عبر مقره الخاص جداً ..

وعندئذ ، حددت الزعيمة موقعه .. وهاجمته ..

تضاعف الغضب في أعماقه ألف مرة ، وهو يبلغ تلك القاعة السرية الصغيرة ، حيث استقرت غوّاصة الفرار ..

لقد أساء تقدير قوة وبراعة تلك المرأة ، كما فعل سابقًا ..

تصوّر أن هزيمتها ، على يد (أدهم) ، قد حطمت قوتها ، وكسرت شوكتها تمامًا ..

ولكن من الواضح أن هذا لم يحدث ..

إنها كالعنقاء ، تعود دومًا من رمادها(*) ..

ولقد عادت هذه المرة أكثر قوة ..

(*) العنقاء : طائر خرافي ، في أساطير قدماء المصريين ، يقال إنه لما يبلغ خمسمائة سنة ، يقوم بإحراق نفسه ، ويبرز من رماده عنقاء أخرى ، وهو رمز البعث ، والخلود ، والاستمرار الأبدي .



وأكثر شراسة ..

وأكثر براعة .

ألف مرة ..

عادت ، لتحقق ما تصوّره مستحيلاً ..

لتحطم منظمته كلها ..

بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

استقر داخل الغوّاصة الصغيرة ، وعضّ شفتيه في غيظ وهو يدير محركها ، ويعيد كل حساباته مرة أخرى ..

خسائر المنظمة تفوق خمسة مليارات دولار هذه المرة ..

ولكن الاستثمارات ما زالت كافية ..

وفور خروجه من هذا المأزق الرهيب ، سيبدأ في إعادة تنظيم الموقف كله ..

سيجرى اتصاله بمستقريه ، ويعيدون حساباتهم ..

وتحليلاتهم ..

وتقديراتهم ..

ثم يبدءون فى إعادة بناء منظمة (X) ..

ربما يستغرق هذا عامين أو ثلاثة هذه المرة ..

ولكنهم سينجحون ..

كالمعتاد ..

وسيعودون إلى المواجهة معها ..

مع الزعيمة ..

أدار محرك الغواصة الصغيرة ، وانطلق بها عبر ممر مائى طويل ، وهو يضغط عدة أزرار داخلها ، ليؤمن هروبه ..



زر فتح أمامه مخرجاً سرياً ، وآخر أطلق موجة مضللة لأجهزة السونار ، وثالث استعد بكل أسلحته ..

وعبرت الغواصة ذلك الممر الطويل ، قبل أن تغمرها مياه المحيط ، وتنطلق خارج المقر ..

فى البداية ، بدت له عملية هروبه محسومة ..

ومأمونة ..

ومضمونة ..

ولكن فجأة ، ظهرت تلك الغواصات الصغيرة ..

غواصات مشابهة تماماً لتصميم الغواصة التى يقودها ، والتى تصور أنها فريدة من نوعها ..

وفى تشكيل دقيق مدروس ، أحاطت به كل تلك الغواصات ..

وامتقع وجهه فى شدة ..

صحيح أن غواصته تحوى كومة من الأسلحة المتقدمة ، إلا أنه محاصر تمامًا ، بغواصات تحوى أسلحة مماثلة ..

وكان هذا يعنى أنه لن يستطيع تكرار ما فعله فى الماضى ..

وأنه لن ينجو هذه المرة ..

أبدًا ..

* * *

بمنتهى البراعة والدقة ، انطلق خنجر (أدهم) ..

شق طريقه وسط الأحراش ، وأصاب هدفه مباشرة ..

وطار ذلك الهدف بعيدًا ، مع قوة الضربة ..

وشهقت (لوتشيا) فى قوة ..

وفى ذعر ..

وفى غضب ..



فالهدف ، الذى أصابه خنجر (أدهم) ، كان جهاز التحكُّم عن بُعد ، الذى كانت تمسكه بيدها ..

ومع شهقة (لوتشيا) ، أو حتى قبلها ، تحرك (أدهم) بسرعة مذهلة ، فوثب نحو (لوتشيا) ، وركل المدفع من يدها ، ثم التقطه بحركة مرنة سريعة ، ودار حول نفسه ، ليطلق النار مباشرة ..

صحيح أن طبيعته كانت تنفر دومًا من القتل ، وإراقة الدماء ، إلا أن الموقف لم يكن يحتمل هذا ..

فمع وثبته ، ارتفعت فوهات مدافع من تبقى من رجال (لاماس) نحوه ..

وأصبحت مسألة حياة أو موت ..

حياتهم ، أو حياته وحياة رفاقه ..

وفى خيار كهذا ، لم يكن (أدهم) ليتردد لحظة واحدة ..

وفى اللحظة ، التى انطلق فيها ( لاماس ) هاربًا ، كانت رصاصات مدفع ( أدهم ) تحصد باقى الرجال ..

أو معظمهم ..

وانطلقت رصاصات من تبقى نحوه ..

وقفز ( أدهم ) ، يحتمى بكوخ قريب ، فى نفس اللحظة ، التى قفزت فيها ( لوتشيا ) ، فى محاولة لاستعادة جهاز التحكُّم عن بُعد ، وهى تطلق صرخات غاضبة متصلة ..

وفى الوقت ذاته ، ظهر بعض الرجال ، الذين استدعاهم إمبراطور المخدرات ، من معسكراته الفرعية ..

وأصبح الموقف شديد التعقيد .. إلى أقصى حد ..

وبترتيب الأولويات ، أطلق ( أدهم ) رصاصاته أولاً ، نحو جهاز التحكُّم عن بُعد ؛ ليظفر به ، قبل أن تفعل ( لوتشيا ) ..

وأصابت رصاصاته الجهاز ، وأطاحت به بعيدًا ..



كان مصنوعًا من مادة صلبة ، أكثر مما كان يتوقَّع ، ولم تحطمه الرصاصات ..

وفى الوقت ذاته ، انهالت عليه الرصاصات ، من كل صوب ..

كل من وصل ، من رجال ( لاماس ) ، أدرك طبيعة الموقف ، وخاصة مع صرخات هذا الأخير الغاضبة الثائرة ..

وهكذا عاد الموقف إلى أصعب وأدق مما كان ..

( أدهم ) وحيد ، فى مواجهة جيش كامل ..

جيش ( لاماس ) الوحشى ..

وعلى بُعد أمتار قليلة منه ، وثبت ( لوتشيا ) مرة أخرى ، خلف جهاز التحكُّم عن بُعد ..

ورآها ( أدهم ) تنقض

وانهالت الرصاصات على مكمنه أكثر وأكثر ..

إلا أنه لم يبال ..

حياته نفسها بدت له رخيصة ، مقابل حياة رفاقه ..

لذا ، فقد ترك مكمنه ، على الرغم من الرصاصات ، ووثب خلف (لوتشيا) ..

كان يطلق آخر رصاصات مدفعه ، وذهنه لايفكِّر إلا فى أمر واحد .. رفاقه ..

(منى) ..

(قدرى) ..

(شريف) ..

و(ريهام) ..

ومع تضافر خصومه ووحشيتهم ، شعر بالرصاصات تتناثر من حوله ، وبآلام كالنيران ، فى كتفه وذراعه ..

ولكنه لم يتوقف ..



وأطلق آخر رصاصة نحو (لوتشيا) ..

واخترقت الرصاصة ذراع أفعى الأدغال بالفعل ..

ولكن غضبها جعلها تحتمل ..

وأمام عينيه ، التقطت جهاز التحكُّم عن بُعد ..

وفى اللحظة نفسها ، صرخ (لاماس) ..

ـ لا تقتلوه .. أريده حيًّا .

ومع قوله ، انقضّ أكثر من ثلاثين رجلاً على (أدهم) ..

أما هو ، فلم يتوقف لحظة واحدة ..

وبقفزة مدهشة ، انقضّ على (لوتشيا) كفهد ثائر ، وأمسك معصمها بأصابع كالفولاذ ، قائلاً بكل صرامة الدنيا :

ـ إياك أن تفعلى !!

ولكنها صرخت ، وهى تقاومه بوحشية :

- إنها ضغطة زر .

وعلى الرغم من سرعته الشهيرة ، وهو ينقض على ذلك الجهاز فى قبضتها ، كانت سبابتها أكثر سرعة ، وهى تضغط زر التفجير ..

وبكل قوتها .

* * *



## ٦ - قلب البطل ..

خفق قلب الرئيس الأمريكى ، مع قلوب كل من حوله ، وهم يسمعون صوت الزعيمة الساخر المزهو ، عبر مكبر صوت هاتف مدير المخابرات ، وهى تقول :

- انتهى الأمر أيها السادة .

كان من المفترض أن يعلق أحدهم ولو بحرف واحد ، إلا أن الصمت قد شملهم جميعًا ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، وكأنما يخشون أن ينطقوا بما يغضبها ..

لذا فقد تابعت هى فى ثقة أكثر :

- لم يعد هناك وجود لمستر (X) .

وهنا فقط انتزع مدير المخابرات الأمريكى نفسه من جموده ، وقال فى توتر :

- هل قضيت عليه ؟!

أجابته فى غموض :

- يمكنكم نسيان أمره تمامًا .

تبادل الأربعة نظرة متوترة، قبل أن يقول الرئيس في عصبية :

ـ وما الذي تنتظرينه منا الآن ؟! خطاب شكر ؟!

نقل إليهم الهاتف ضحكة ساخرة .. عالية ..

مزهوة .. شامتة .. ظافرة ..

ضحكة أعقبها صوت صارم قاس، يقول :

ـ بل ما هو أكثر من هذا .. أكثر بكثير .

ازدردت وزيرة الخارجية لعابها، وحاولت أن تبدو متماسكة، وهي تقول :

ـ المهم ألا يكون أكثر مما يمكننا منحه .

أجابتها الزعيمة في قسوة :

ـ لا يعنيني ما يمكنكم منحه أيتها المتحذلقة .. ستفعلون ما آمركم به، مهما كانت قيمته .

تضاعف توترهم ألف مرة، مع قولها هذا، وقال الرئيس في غضب عصبي واضح :



ـ لا تنسى أبدًا أنك تخاطبين زعيم أقوى دولة، في النظام العالمي الجديد .

قالت في شراسة :

ـ ولا تنس أنت أنك تتكلم مع من هزمت نظامك كله .

عادوا يتبادلون نظرة شديدة التوتر، قبل أن يقول وزير الدفاع، في عصبية بالغة :

ـ لاحظي أن أسلحتك، التي هزمت مستر (X) ومنظمته، لا تكفي لمواجهة الجيش الأمريكي، الذي ...

قاطعته، مستعيدة لهجتها الساخرة :

ـ أية أسلحة ؟!

لم يفهم أحدهم سؤالها مباشرة، فتساءل الرئيس في حذر :

ـ تلك التي رأيناها على الشاشة .. أليس كذلك ؟!

جاوبته ضحكة ساخرة عالية ..

ضحكة، جعلت جسده كله ينتفض في عنف ..

وفي قلق ..

ومع حالة الهلع ، التى ملأت القلوب ، تساءل مدير المخابرات :

- ما الذى تقصدينه بالضبط ؟!

أجابته فى سرعة وصرامة :

- أجبنى أولاً : كيف تتصورون أننى استطعت أن أنقل إليكم بثًّا مباشرًا ، من جزر الكاريبى .

غمغم مدير المخابرات :

- هذا أمر يفعله أى مراسل صحفى ، عبر ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ارتياع شديد ، فأطلقت هى ضحكة أخرى ، جعلت وزير الدفاع يهتف فى ذعر :

- عبر ماذا ؟! ما الذى تعنيه ؟!

أجابته وزيرة الخارجية ، وكل ذرة فى كيانها ترتجف :

- كيف يمكنك ألا تدرك هذا ؟! عبر الأقمار الصناعية بالطبع .



كاد الرئيس يثب من مقعده ، وهو يهتف :

- ولكن هذا مستحيل ! قل لى إنها لم تستعد سيطرتها على أقمارنا الصناعية .

جاوبته ضحكة أخرى ساخرة ، والزعيمة تقول :

- يا للعبقرية ! هل توصلت إلى هذا وحدك ؟!

امتقعت وجوه الأربعة ، وغمغم مدير المخابرات :

- كيف فعلت هذا ؟!

أجابته ساخرة :

- بل لماذا فعلتم أنتم هذا ؟! كان ينبغى أن تعملوا على تدمير ذلك القمر ، الخاص ببرنامج حرب النجوم ، بعد أن نجحت أنا فى السيطرة عليه فى السابق ، ولكنكم أردتم الاحتفاظ بسلاح رهيب ، يتيح لكم السيطرة على العالم كله ، من الفضاء الخارجى .

غمغم وزير الدفاع ذاهلاً :

- ولكننا قمنا بتغيير شفرات التشغيل ، والاتصال ، و ...

قاطعته بنفس السخرية :

ـ متى تتعلمون أن هذا لا يمكن أن يقف فى طريقى ؟! إنها مجرد أرقام يا رجل .. أرقام يملكها بشر ، لهم كل سمات الضعف البشرى .

غمغم الرجل ، دون أن يفارقه ذهوله :

ـ إننا ننتقى أفضل العناصر .

أجابته فى سرعة :

ـ لكل امرئ ثمنه .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت بلهجة ساخرة :

ـ حتى أنتم .

انتفض الجميع فى عنف ، والرئيس يهتف مستنكرًا :

ـ نحن ؟!

أجابته فى سرعة وصرامة :

ـ نعم .. أنتم يا فخامة الرئيس .

وصمتت لحظة ، بدت لهم كالدهر ، قبل أن تتابع :



ـ عندما اقتحمنا مقر مستر (X) الرئيسى ، كان أول ما فعلناه هو تعطيل كل نظمه الإلكترونية ، ووسائل أمنه الرقمية .

لم يجد أحدهم صلة ، بين قولها السابق وهذا الحديث ، ولكنها أكملت فى حزم :

ـ ولقد أوقف هذا نظام حماية خاص ، كان المفترض منه أن يدمِّر كل وثائقه وأوراقه ، فى حالة حدوث أى اقتحام داخلى .. باختصار ، أمكننا أن نحصل على كل الوثائق ، فى حالة جيدة .

والتقطت نفسًا عميقًا مسموعًا ، قبل أن تتابع :

ـ ومن بينها كانت وثيقة مدهشة ، توقفت عندها طويلاً ، عندما نقلتها إلىَّ رجالى بوسائلنا الرقمية المتطورة .

ارتجفت قلوبهم فى صدورهم ، وهى تتابع :

ـ وثيقة تحمل توقيعاتكم جميعًا .

وهوت القلوب بين الأقدام ..

فكلهم أدركوا ماهية تلك الوثيقة ..

وأدركوا ما تشير إليه الزعيمة ..

لقد عثرت على ذلك الاتفاق، الخاص بتبادل المعلومات، والذى وقعوه مع مستر (X) سابقًا ..

الاتفاق الكفيل بتدمير الإدارة الأمريكية كلها ..

وبلا رحمة ..

وهذا يعنى أن وزيرة الخارجية كانت على حق منذ البداية ..

لقد استبدلوا الجمر فعلاً بالنار ..

النار التى ستحرقهم حتمًا يومًا ما ..

وأيضًا بلا رحمة ..

* * *

« هل تعتقد هذا حقًا ؟! »

ألقى مدير المخابرات العامة المصرية السؤال، على معاونه الأول، وهما يناقشان أمر (أدهم)، فتردد المعاون لحظة، قبل أن يقول:



- ربما لا أعتقد تمامًا أن العميد (أدهم) يمكن أن يتخلى عن عمله هنا، ولكننى واثق من أنه لن يحاول العودة، إلا بعد أن يحسم أمر رفاقه تمامًا.

عقد المدير كفيه أمام وجهه، متسائلاً:

- وهل ترى أن هذا يتعارض مع نظمنا ؟!

أجابه المعاون بسرعة:

- بالتأكيد يا سيدى .. صحيح أن العميد (أدهم) واحد من أكفأ رجالنا، إلا أنه مازال ضابط مخابرات، يخضع كأقرانه، لكل نظم وقوانين الجهاز.

سأله المدير فى اهتمام:

- بمعنى ؟!

أجاب بنفس السرعة:

- بمعنى أنه لا يحق له أن يتغيب عن عمله، أو أن ينخرط فى عملية خاصة، دون الحصول على إذن بهذا، وإلا فإنه يتعرّض للمساءلة، والتحقيق رسمى، بتهمة تجاوز الأوامر والنظم.

تمتم المدير :

ـ تحقيق رسمى ؟! مع ( ن ـ ١ ) ؟!

ثم أطلق زفرة من صدره ، ونهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى النافذة ، كعادته كلما استغرق فى التفكير ، وقضى بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ الشىء المؤكد ، هو أن ( ن ـ ١ ) ليس أبدًا كأقرانه .. إنه حالة خاصة .. حالة فريدة ، تحسدنا عليها معظم أجهزة المخابرات العالمية .

قال المعاون فى حذر :

ـ أيعنى هذا أنه فوق النظم والقوانين ؟!

أجابه المدير فى سرعة وحزم :

ـ مطلقًا .

وعاد إلى صمته بضع لحظات أخرى ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن من الناحية الرسمية ، هو ليس أحد رجالنا الآن .



انعقد حاجبا المعاون فى شدة ، وهو يقول :

ـ سيدى .. لقد خاطبنا ، عبر شبكة الإنترنت ، والتقى به مندوبنا بالفعل ، وأعطاه ذلك العقار ، العقار للتناسخ ، قبل أن يسافر إلى ( كولومبيا ) ، فكيف يمكن ألا يكون أحد رجالنا ، من الناحية الرسمية ؟!

أجابه المدير فى حزم :

ـ راجع الأوراق الرسمية ، وستدرك هذا .

ثم التفت إليه ، متابعًا :

ـ فى أوراقنا ، مازال ( ن ـ ١ ) مفقودًا ، منذ انفجار جزيرة الزعيمة ، فى قلب المحيط الأطلنطى ، ولم يعد ليتسلم عمله بعد ، وهذا يعنى أن نظمنا لاتنطبق عليه ، فى الوقت الحالى .

حملت ملامح المعاون الكثير من الدهشة والحيرة والاستنكار لحظة ، قبل أن تلين على نحو ملحوظ ، وهو يبتسم ، مغمغمًا :

ـ فهمت يا سيدى .

أومأ المدير برأسه في ارتياح، ثم عاد يتطلّع عبر النافذة، قائلاً في حزم شديد:

- وحتى يعود، سنعتبره في إجازة مفتوحة، تمامًا مثلما نعتبر (منى)، و(قدري)، و(شريف) و(رمزي)

وصمت لحظة أخرى، ثم عاد يلتفت إلى معاونه، مضيفًا:

- المهم أن يعود.

وفي هذه المرة، لم يعلّق المعاون بحرف واحد..

فهذا هو المهم بالفعل..

أن يعود (أدهم)..

حيًّا..

* * *

مع ضغطة إصبع (لوتشيا) على زر التفجير، دوى الانفجار..

انفجار قوي رهيب، أطاح بكوخ الأسرى.. بكل ما فيه.. ومن فيه..



ومعه، دوى انفجار آخر، في قلب البطل..

في قلب (أدهم)..

ها هو ذا المشهد يتكرر.. بنفس العنف..

والقسوة.. والمرارة..

للمرة الثانية، يرى مصرع رفاقه بعينيه..

وللمرة الثانية، يصرخ قلبه..

وتبكي مشاعره..

تبكي بدموع من دم..

وكما حدث في المرة الأولى، تفجّر في أعمق أعماقه بركان هائل..

بركان من الغضب..

غضب بلا حدود..

غضب جعله يلطم (لوتشيا) في قوة، صارخًا:

- أيتها الحقيرة.

لتنتزعها لطمته من مكانها، وألقتها على مسافة أمتار منه، في نفس اللحظة، التي استدار هو فيها، ليواجه الرجال الثلاثين، الذين انقضوا عليه من كل صوب..

كانوا يحملون مدافعهم الآلية ، مع أمر بعدم قتل ( أدهم ) ، الذي انقض عليهم كالإعصار ..

إعصار بشرى رهيب ..

وغضب كاسح بلا حدود ..

وعلى الرغم من إصابة كتفه وذراعه ، انهالت قبضتاه على أعدائه ، على نحو لم يحدث ، في حياته كلها ..

انهالت تحطم الفكوك .. والأنوف .. والضلوع ..

والرءوس أيضاً ..

وعندما تساقط بعضهم ، التقط هو مدفعين آليين ، واعتدل يطلق نيرانهما على من حوله ، وغضبه يتزايد .. ويتزايد .. ويتزايد ..

وانتفض جسد ( لاماس ) الضخم ، مع مرأى رجاله يتساقطون كثمار فاسدة ، أمام رجل واحد ، وهم الذين هزموا فرقة أمريكية كاملة ، منذ أيام قليلة ..

كان يعلم أن الذين سقطوا أقل بكثير ممن هم في طريقهم إليه ، من باقي المعسكرات الفرعية البعيدة ..



إلا أنه لم يكن باستطاعته انتظار قدومهم ..

لقد شاهد ( أدهم ) يسقط ثلاثين رجلاً وحده ، بين قتيل ومصاب ..

وهذا في رأيه أمر مستحيل !

بل وفي رأى أى شخص عاقل أيضاً ..

لذا فقد تراجع في ذعر متوتر ، والتقط مدفعه الآلى ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا يمكنك أن تفعل هذا .

كان أنين الجرحى والمصابين من رجاله يصم الآذان ، ولكن صوت رصاصات مدفعه غطى على كل هذا ، وهو يطلقها نحو ( أدهم ) ..

وبكل الغضب المشتعل في أعماقه ، انقض عليه ( أدهم ) ..

لم يكن يبالي بالرصاصات ، التي تنهال عليه ، والتى اخترقت إحداها ذراعه نفسها ، وأخرى فخذه ..

وتراجع ( لاماس ) مذعوراً ، لأول مرة في حياته ..

تراجع ، وقد بدت له القبضة ( أدهم ) رهيبة .. مفزعة .. ومرعبة ..

أما ( أدهم ) ، فعلى الرغم مما أراقه من دماء ، في لحظات قليلة ، ومن رصاصات ( لاماس ) التي تنهال عليه ، إلا أنه لم يطلق من مدفعه رصاصة واحدة نحوه ..

ولقد نفدت رصاصات ( لاماس ) ، قبل أن يبلغه ( أدهم ) ؛ لذا فقد انتزع خنجره من غمده ، وواجهه به ، صارخًا في عصبية :

ـ هيا .. قاتل كرجل .. قاتلـ ك...

قبل أن يتمّ عبارته ، وثب ( أدهم ) نحوه ..

كانت تفصله عن ( لاماس ) أربعة أمتار كاملة ، ولكن الغضب جعله يقطعها بوثبة واحدة ، لتقبض أصابع يده اليسرى على معصم إمبراطور المخدرات ، ككلابة من فولاذ ، في نفس اللحظة التي هوت فيها قبضته اليمنى على أسنانه كالقنبلة ..

وتحطّمت أسنان ( لاماس ) الأمامية ..



وتدفّقت الدماء من بين شفتيه في عنف ..

ومع مذاق الدم ، الذي لم يعرفه قط ، أصيب العملاق الكولومبي بموجة ذعر هائلة ..

وحاول أن يتراجع ..

ولكن قبضة ( أدهم ) هوت على أسنانه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وعلى الرغم من ضخامته الهائلة ، غامت الدنيا أمام عيني ( لاماس ) ..

وسقط ..

سقط ، ورأسه يدور ..

ويدور ..

ويدور ..

ثم فجأة ، بدا له أنه يرتفع مرة ثانية ..

وعندما استعادت (لوتشيا) وعيها، بعد لطمة (أدهم) القوية، اتسعت عيناها عن آخرهما في ذعر وهي تحدق في جيش الرجال، الذي سقط على مقربة منها، بين قتيل وجريح ومصاب ..

ثم أدارت عينيها؛ لتنطلق من حلقها شهقة مكتومة، أمام مشهد أصابها بذعر أكثر ..

وبذهول أكثر ..

مشهد (أدهم)، وهو يحمل جسد (لاماس) الضخم على كتفيه، كما لو أنه يحمل طفلاً صغيراً، ويتجه به نحو نهر (جرافيارى) ..

كانت عضلاته منتفخة عن آخرها، على نحو منحه مظهراً أشبه بآلهة الرومان القدامى، والدماء تسيل من مواضع إصاباته، على نحو مخيف ..

واحتبست صرخة في حلق (لوتشيا) ..

لم تكن تدرى ما الذى ينتويه (أدهم) بالضبط، ولكن قلبها ارتجف بين ضلوعها في عنف ..

وحاولت أن تنهض ..



حاولت أن تلتقط مسدساً آلياً، من مدافع القتلى، لتحمى (لاماس)، مما يمكن أن يفعله (أدهم) ..

ولمحها (أدهم) وهي تحاول ..

ولم يبال بمحاولتها ..

كان وكأنه قد فقد الرغبة في حياته نفسها ..

أو لم يعد يبالي بالاستمرار ..

أو بالبقاء ..

وبمنتهى الحزم والعزم، اتجه نحو ضفة النهر يحمله الثقيل، و(لاماس) يستعيد شيئاً من وعيه، قائلاً في ذعر:

ـ ما .. ماذا ستفعل ؟!

أجابه (أدهم)، بكل غضبه وصرامته:

ـ يقولون في موطني: « من عاش بالسيف، مات بالسيف »، وأنت عشت حياتك بدموية لا مثيل لها، وأطعمت تماسيحك لحوم ضحاياك، دون رحمة أو شفقة.

ارتجف جسد (لاماس) الضخم ، على الرغم منه ، وهو يصرخ ، محاولاً المقاومة :

ـ ماذا ستفعل بى ؟! ماذا ستفعل بى ؟!

فى الظروف العادية ، كان وزنه ومقاومته يكفيان ؛ للتخلص من (أدهم) تماماً ، إلا أنه ، ومع موجة الغضب العارمة ، التى تسرى فى عروق هذا الأخير ، لم تكن أية قوة فى الأرض بقادرة ، على تخليصه منه ..

وعندما التقطت (لوتشيا) نفساً بالفعل ، كان (أدهم) قد بلغ حافة النهر ، وهو يقول ، بكل غضب وصرامة الدنيا :

ـ تماسيحك لم تحصل على غذاء كاف اليوم ، بعد أن أنقذت عذارى منها ، وهى تحتاج إلى طعام دسم .

صرخ (لاماس) ، وهو يضرب فى قوة :

ـ لا .. لا يمكنك أن تفعلها .

وكانت (لوتشيا) تعدو نحوهما ، عندما شاهدت (أدهم) يلقى جسد (لاماس) الضخم فى النهر ، قائلاً :

ـ ولكنك تستحقها .



صرخت فى رعب ، عندما ارتطم جسد حبيبها العملاق بالمياه الباردة ، وهو يضرب بذراعيه ، محاولاً الخروج منها ..

ولكن التماسيح كانت جائعة بالفعل .. والفريسة كانت ضخمة ، وتكفى الجميع ..

لذا ، فقد انقضت كلها عليها .. بلا رحمة ..

وعندما تصوّر (لاماس) أنه قد بلغ الضفة ، أطبقت أسنان تمساح قوى على قدمه اليسرى ..

وقبل حتى أن تكتمل صرخة الألم والذعر ، التى أطلقها ، كان التمساح يجذبه إلى عمق النهر ..

وكانت التماسيح الأخرى تنقض ..

وتنقض ..

وتنقض ..

وكما فعل ضحاياه من قبل ، راح إمبراطور المخدرات العملاق يصرخ .. ويصرخ .. ويصرخ ..

ومع صرختها ، عدت (لوتشيا) نحو (أدهم) ، صارخة :

- لقد قتلته .. لقد قتلته .

ومع صرختها انطلقت رصاصات مدفعها ..

والعجيب أن (أدهم) قد استدار يواجهها ، ويواجه رصاصاتها فى هدوء عجيب ..

هدوء يوحى بأنه لا يخشى الموت ..

بل يرحب به ..

وربما .. كثيرًا جدًا ..

وأصابت رصاصات (لوتشيا) الأرض ، على مسافة متر منه ، ثم راحت تقترب منه فى سرعة وتقترب ..

وتقترب ..

وصرخات (لوتشيا) ، الممتزجة بصرخات (الماس) تعلو ..

وتعلو ..

وتعلو ..



ثم فجأة ، توقفت رصاصات مدفع (لوتشيا) ، قبل سنتيمترات قليلة ، من بلوغها جسد (أدهم) ..

ومع توقف دوى الرصاصات خمدت صرخات (لوتشيا) .. وصرخات (الماس) أيضًا ..

وبينما تلتهم التماسيح ما تبقى من فريستها ، التى تمزقت بينها ، اتسعت عينا (لوتشيا) ، وتوقفت فى مكانها ، وارتجفت ..

أما (أدهم) ، فقد أغلق عينيه بضع لحظات فى قوة ، وكأنما يمحو من ذاكرته ما أقدم عليه منذ لحظات ، أو أنه يأسف لأن الرصاصات لم تبلغ منه مقتلاً ..

وعندما فتح عينيه ، كان الغضب قد امتزج فيهما بمشاعر أخرى ..

بالمرارة ..

والحزن ..

والأسى ..

والضياع ..

وفى خطوات ثقيلة ، تقدّم نحو ( لوتشيا ) ، التى تراجعت ، ولوّحت بيديها فى رعب ، هاتفة :

- لا .. لا تُلقنى للتماسيح .. لست أستحق هذا

أجابها بكل انفعالاته :

- بل تستحقين ما هو أكثر من هذا ، جزاء ما فعلت .

حاولت أن تعدو مبتعدة ، إلا أنها فقدت توازنها ، وسقطت أرضًا ، وهى تلهث بكل الرعب ، و ...

وفجأة ، أمسكت قبضة ( أدهم ) القوية بمعصمها ..

لم تدر كيف قطع كل هذه المسافة إليها ، خلال لحظات قليلة ، إلا أنه جذبها ؛ ليجبرها على الوقوف ، وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرة ، بنظرة غاضبة ، جمدت الدماء فى عروقها ، وجعلتها ترتجف قائلة :



- لقد .. لقد أسأت فهم ما حدث .

غمغم ( أدهم ) فى غضب :

- أيتها الحقيرة .

قالت ، وهى تقاومه فى ارتياع :

- هؤلاء الأسرى ، لا يساوون شيئًا .

ضاعف قولها من غضبه ، وأطلّت نيران الغضب من عينيه ، فاستطردت بارتجافة أكثر :

- لست أقصد ما تصوّرته ، وإنما أردت أن أقول إنهم ليسوا من تسعى إليهم .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسألها :

- ماذا تعنين ؟!

تضاعفت ارتجافتها ، وهى تجيب :

- لقد أحضرتهم إلى هنا صينية حسناء ، تعمل لحساب امرأة تدعى الزعيمة ، وأخبرتنا أنها قد انتقتهم بعناية ، حتى يبدوا أشبه بآخرين ، يعملون لحساب جهاز مخابرات عربى .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وبدا صوته أكثر قسوة ، وهو يقول :

- أنت كاذبة .

صاحت ، والذعر يملأ كل ذرة من كيانها :

- أقسم أننى لست كذلك .. تلك الصينية أكدت أن العرب سيبحثون خلف هؤلاء ، مما سيبعد الأشياء عن المجموعة الحقيقية ، التى تحتفظ بها فى مكان آخر .

حاول أن يستوعب ما تقوله ، مع انفعاله الجارف ، وهو يسألها فى حدة :



- لماذا سعيت لقتلهم إذن ، لو أنك تعلمين أنهم ليسوا من أسعى إليهم ؟

هتفت فى انهيار :

- لأنك تتصور أنهم كذلك .

كان من الواضح أنها لا تكذب هذه المرة ؛ فقد كانت مذعورة إلى حد يعجز الإنسان فيه عن الكذب ..

ولقد شعر بقلبه يرتجف بين ضلوعه ..

يرتجف فى أمل هذه المرة ..

وبكل انفعاله وأمله ، يسألها :

- وأين تحتفظ تلك الصينية بالأسرى الحقيقيين ؟!

قالت ، وانهيارها يبلغ مداه :

- لم تخبرنا .. أقسم لك .. أقسم لك .

ومع نهاية عبارتها ، انهارت باكية ، وراحت تتشنج على نحو عجيب ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت قوات ( لاماس ) ، التى وصلت من المعسكرات الفرعية البعيدة ، وهى تبلغ المكان ..

وهنا ، تخلى ( أدهم ) عن معصم ( لوتشيا ) ، وتركها تسقط أرضًا ، وهى تبكى فى انهيار ..

وهال رجال ( لاماس ) ما وجدوه فى المعسكر ..

هالهم مشهد القتلى ، والجرحى ، والمصابين ..

ومشهد الكوخ المتفجر ..

وعندما انطلقوا فى المكان ، بحثًا عن زعيمهم ..

أو حتى عن المسئول عن كل هذا ، لم يجدوا أمامهم سوى ( لوتشيا ) المنهارة ، والتماسيح السابحة على سطح الماء ، ببطون منتفخة ..



أما ( أدهم ) ، فقد اختفى تمامًا ، ولم يعد له أثر ..

أى أثر ..

على الإطلاق .

* * *

## ٧ ـ الختـــــام ..

« برقية من العميد ( أدهم ) يا سيدى .. »

نطق المعاون الأول، لمدير المخابرات المصرية العبارة، فى انفعال واضح، فاعتدل المدير فى مقعده، وقال فى اهتمام واضح، وهو يمد يده إليه :

ـ أعطنى إياها .

ناوله المعاون البرقية، وهو يقول :

ـ إنه يطلب إجازة طويلة ؛ لأنه لم يعثر على ما ذهب إلى ( كولومبيا ) من أجله، ويعتقد أنه سيعثر عليه فى مكان آخر .



انعقد حاجبا المدير، وهو يقرأ تفاصيل البرقية، ثم وضعها على سطح مكتبه، واستغرق فى التفكير بضع لحظات، فقال المعاون فى اهتمام :

ـ هل ستمنحه هذه الإجازة يا سيدى ؟!

رفع المدير عينيه إليه، قائلاً :

ـ وهل تعتقد أنه يمكننا رفضها ؟!

لم يجب المعاون، وهو يتطلع إليه فى قلق، فعاد المدير إلى صمته وتفكيره بضع لحظات، قبل أن يتابع فى حزم :



ـ استعادة ( ن ـ ١ ) و( منى ) و( قدرى ) و( شريف ) و( ريهام )، أمر يستحق تجاوز كل القواعد التقليدية يا رجل، وما دام ( ن ـ ١ ) قد أرسل هذه البرقية، فهذا يعنى أنه ما زال يعتبر نفسه واحداً منا، وأنه لديه ما يسعى خلفه .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف :

ـ أو على الأقل ، طرف خيط له .

غمغم المعاون :

ـ هذا صحيح يا سيدى .

التقط المدير نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ أبلغ قيادات فرع العمليات الخاصة ، أننى سأعقد اجتماعًا معهم ، بعد ساعة واحدة ، لمناقشة الموقف ، وبحث وسائل معاونة (ن ـ ١) ، فى رحلة بحثه عن الباقين .

قال المعاون فى سرعة :

ـ أمرك يا سيادة الوزير .

اعتدل المدير ، وهو يسأله فى اهتمام :



ـ بالمناسبة .. من أين أرسل (ن ـ ١) هذه البرقية بالضبط .

أجاب المعاون بمنتهى السرعة ، وكأنما كان يتوقع السؤال وينتظره :

ـ من الولايات المتحدة الأمريكية .

مطّ المدير شفتيه ، وتراجع فى مقعده وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ هذا يعنى أن المرحلة القادمة ، ستحمل لـ (ن ـ ١) الكثير .. والكثير جدًا .

ولم يعلّق المعاون بحرف واحد ..

فالعبارة قد بدت له صحيحة ..

صحيحة تمامًا ..

* * *

الولايات المتحدة الأمريكية ..

أكبر وأقوى دولة ، في العالم كله ..

و( أدهم ) رجل واحد ..

رجل قرّر أن يخوض حربه الخاصة ، ضد أكبر دولة ، من أجل استعادة رفاقه ..

حبيبته ..

وصديق عمره ..

وتلميذيه ..

من أجلهم سيقاتل بلا هوادة ..

وبلا توقف ..

وكل ما لديه طرف خيط واحد ..

الصينية الحسناء ( تيا ) ..



الصينية التي ستقوده ـ لو عثر عليها ـ إلى زعيمتها ..

وإلى رفاقه ..

لو أنهم ما زالوا بالفعل على قيد الحياة ..

وسيتشبث بهذا الأمل ... وسيقاتل ..

ويقاتل .. ويقاتل ..

ولن يتوقف حتى يستعيد رفاقه ، أو يهلك دونهم ..

هذا لأنه ليس مجرد رجل عادي ..

إنه رجل من طراز خاص ..

خاص جداً ..

رجل لا يستسلم أبدًا ، مهما واجهه من عقبات ومصاعب ، ومخاطر ..

فهو رجل المستحيل ..

كل المستحيل .

★ ★ ★

( تمت بحمد الله )